**الهدى**

**\*المقدمة :**

**إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله قال تعالى :{ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون} آل عمران/ 120**

**وقال تعالى :{ ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً } النساء / 1**

**وقال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً } الأحزاب /70 ، 71 وبعـــــد : فقد لاحظت توارد لفظ (الهدى ) في القرآن الكريم كثيرا ؛ بل بلغ القرآن الغاية في الاهتمام بموضوع الهدى والهداية والاهتداء؛ ولذلك تعددت اشتقاقات هذا اللفظ في القرآن، حيث جاء في نحو خمسين ومائتي موضع، وجاء بصيغ متعددة ومتنوعة ولذلك احببت أن اجمع شتات هذا الموضوع فكان هذا البحت العظيم**

**\*معنى الهدى المعنى اللغوي : هَدَى: ( فعل ) هدَى يَهدي ، اهْدِ ، هُدًى ، والمفعول مَهدِيّ ، هدَى الحائرَ : أرشده ودلَّه ، وهدَى العروسَ إلى زوجها : زفَّها إليه ، هدَى هَدْيَ فلانٍ : سار سيرَه ، استرشد به ، هَدْي: ( اسم ) ، هَدْي : جمع هَدية ، الهَدّةُ : صوتُ وقوع الشَّيء الثقيل هَدي: ( اسم ) مصدر هدَى الهَدْيُ : ما يُساق إلى البيت الحرام من الأنعام للتَّصدُّق بلحمه بعد ذبحه الهَدْيُ :السَّمْتُى ،الهَدِيُّ :الرجلُ المحترم (1)**

**\*لفظ (الهدى) في القرآن الكريم**

**الشرائع السماوية كافة جاءت لهداية الناس إلى الدين الحق، وإرشادهم إلى الصراط المستقيم، ومن هنا كانت الهداية محور عمل الأنبياء جميعاً، وملتقى كتب السماء كافة. وفي هذه الصفحات نكشف شيئاً عن لفظ (الهدى)، من جهة المعنى اللغوي، ومن جهة توارد هذا اللفظ في القرآن، والمعاني التي ورد عليها.**

**أما من حيث اللغة، فإن لفظ (الهدى) يفيد معنى الإرشاد والدلالة؛ يقال: هداه إلى الطريق وللطريق: أي أرشده ودلَّه إليه. والمسلم يطلب الهداية إلى الطريق المستقيم صباح مساء فيقول: {اهدنا الصراط المستقيم}، أي: أرشدنا يا الله إلى طريق الحق والصواب، ودلنا على ما فيه فلاحنا في الدنيا والآخرة. قال ابن الأنباري: "أصل الهدى في كلام العرب: التوفيق". وقال ابن عطية: "الهداية في اللغة: الإرشاد، لكنها تتصرف على وجوه، يعبر عنها المفسرون بغير لفظ الإرشاد، وكلها إذا تؤملت رجعت إليه".**

**================================**

**(1)الأنترنت ـ موقع المعاني ـ معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي**

**وقال الراغب: الهداية: دلالة بلطف، ومنه الهدية. وخُص ما كان دلالة بـ (هديت)، وما كان إعطاء بـ (أهديت)، نحو: أهديت الهدية، وهديت إلى البيت.**

**وأما من جهة توارد هذه اللفظة في القرآن فحدث ولا حرج، فإن القرآن الكريم بلغ الغاية في الاهتمام بموضوع الهدى والهداية والاهتداء؛ ولذلك تعددت اشتقاقات هذا اللفظ في القرآن، حيث جاء في نحو خمسين ومائتي موضع، وجاء بصيغ متعددة ومتنوعة.**

**فجاء اسماً بتصرفات مختلفة في خمسة وعشرين ومائة موضع، منها قوله تعالى: {ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين} (البقرة:2). وقوله سبحانه: {وكفى بربك هاديا ونصيرا} (الفرقان:31)، وقوله سبحانه: {فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا} (الإسراء:48) .**

**وجاء فعلاً مضارعاً بتصرفات مختلفة في تسعة وأربعين موضعاً، منها قوله سبحانه: {ويهدي به كثيرا} (البقرة:26)، وقوله سبحانه: {إلا أن يُهدى} (يونس:35). وقوله تعالى: {ولا يهتدون سبيلا} (النساء:98).**

**وجاء فعلاً ماضياً بتصرفات مختلفة في سبعة وثلاثين موضعاً، منها قوله تعالى: {وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله} (البقرة:143)، وقوله سبحانه: {والذين اهتدوا زادهم هدى} (محمد:17)، وقوله تعالى: {وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد} (الحج:24) .**

**وجاء فعل أمر في ثلاثة مواضع: أولها: قوله تعالى: {اهدنا الصراط المستقيم} (الفاتحة:6). وثانيها: قوله سبحانه: {واهدنا إلى سواء الصراط} (ص:22). وثالثها: قوله تعالى: {فاهدوهم إلى صراط الجحيم} (الصافات:23) .**

**وهذا التوارد الكثيف والمتنوع لهذا اللفظ يُنبئ بمحوريته في القرآن الكريم .**

**وأما من جهة المعاني التي ورد عليها لفظ (الهدى) في القرآن، فهي كالتالي:**

**بمعنى البيان، ومنه قوله تعالى: {أولئك على هدى من ربهم} ، أي: على نور وبيان وبصيرة. ومثله قوله سبحانه: {إنا هديناه السبيل} ، أي: بيناه له، ووضحناه، وبصرناه به. ونحوه قوله سبحانه: {إن علينا للهدى} (الليل:12)، يعني البيان**

**وبمعنى دين الإسلام، ومنه قوله تعالى: {إن هدى الله هو الهدى} (البقرة:120)، أي: إن دين الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل. ونحوه قوله سبحانه: {إنك لعلى هدى مستقيم} (الحج:67) .**

**وبمعنى الإيمان، ومنه قوله تعالى: {وزدناهم هدى} ، أي: إيماناً وبصيرة. ونحوه قوله سبحانه: {أنحن صددناكم عن الهدى} (سبأ:32)، أي: أنحن منعناكم عن الإيمان .**

**وبمعنى الدعوة إلى الله، ومنه قوله تعالى: {وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا} (الأنبياء:73)، أي: يدعون إلى الله بإذنه. ونحوه قوله سبحانه: {وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا} (السجدة:24)، أي: يدعون الناس إلى ديننا بأمرنا.**

**وبمعنى الدلالة والإرشاد، ومنه قوله تعالى: {وعلامات وبالنجم هم يهتدون} (النحل:16)، أي: جعل سبحانه النجوم في السماء دلائل للناس على طرقهم ومسارهم. ونحوه قوله سبحانه: {أن يهديني سواء السبيل} (الأنبياء:31)، سأل موسى عليه السلام ربه أن يدله على أقصد الطريق بحيث أنه لا يضل. ونحوه أيضاً قوله تعالى: {أو أجد على النار هدى} (طه:10)، أي: أجد عند النار من يدلني على الطريق .**

**وبمعنى أمر محمد صلى الله عليه وسلم، ومنه قوله تعالى: {إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى} ، قال أبو حيان: (الهدى): أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونعته واتباعه. ونحوه قوله سبحانه: {من بعد ما تبين لهم الهدى} (محمد:25،32)، قال قتادة: نزلت في قوم من اليهود، كانوا عرفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم من التوراة، وتبين لهم بهذا الوجه، فلما باشروا أمره حسدوه، فارتدوا عن ذلك القدر من الهدى .**

**وبمعنى القرآن، ومنه قوله تعالى: {وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى} (الإسراء:94)، أي: ما منع الناس الإيمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم إلا شبهة تلجلجت في صدورهم. ونحوه قوله سبحانه: {ولقد جاءهم من ربهم الهدى}**

**وبمعنى التوراة، ومنه قوله تعالى: {ولقد آتينا موسى الهدى} (غافر:53)، أي: التوراة. وهذا على معنى في الآية.**

**وبمعنى التوحيد، ومنه قوله تعالى: {أرسل رسوله بالهدى} (التوبة:33)، قال أبو حيان: (الهدى): التوحيد، أو القرآن، أو بيان الفرائض. ونحوه قوله سبحانه: {وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا} (القصص:57)، قال مجاهد وغيره: نزلت في أبي طالب، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: (قل لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة)، قال: لولا أن تعيرني قريش، يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع، لأقررت بها عينك.**

**وبمعنى نهج الأنبياء السابقين، ومنه قوله تعالى: {فبهداهم اقتده} (الأنعام:90)، روى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: نبيكم صلى الله عليه وسلم ممن أُمِرَ أن يقتدي بهم. رواه البخاري.**

**وبمعنى الإلهام، ومنه قوله تعالى: {أعطى كل شيء خلقه ثم هدى} (طه:50)، قال المفسرون: معناه ألهم الحيوانات كلها إلى منافعها. ونحوه قوله سبحانه: {والذي قدر فهدى} قال ابن عباس رضي الله عنهما: عرَّف خلقه كيف يأتي الذكر الأنثى.**

**وبمعنى التسديد والتصويب، ومنه قوله تعالى: {وأن الله لا يهدي كيد الخائنين} (يوسف:53)، أي: لا يصوبه ولا يسدده. ونحوه قوله تعالى: {أرأيت إن كان على الهدى} (العلق:11)، أي: فما ظنك إن كان هذا الذي تنهاه، إن كان على صواب وطريق مستقيم في فعله؟**

**وبمعنى الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنه قوله تعالى: {فإما يأتينكم مني هدى} (البقرة:38)، أي: رسول. وهذا على قول في الآية.**

**وبمعنى الرشد، ومنه قوله تعالى: {فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين} (البقرة:16)، أي: راشدين في صنيعهم ذلك. ونحوه قوله سبحانه: {قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين} (الأنعام:56)، يقول: ما أنا من الراشدين إن اتبعت أهواءكم .**

**وبمعنى التفضيل، ومنه قوله تعالى: {ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا} (النساء:51)، أي: يفضلون الكفار على المسلمين بجهلهم، وقلة دينهم.**

**وبمعنى التقديم، ومنه قوله تعالى: {فاهدوهم إلى صراط الجحيم} (الصافات:23)، قال ابن عباس: دلوهم إلى طريق النار. وقال ابن كيسان: قدموهم. وقال بعض المفسرين: المعنى: سوقوهم سوقاً عنيفاً إلى جهنم.**

**وبمعنى الموت على الإسلام، ومنه قوله تعالى: {وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى} (طه:82)، قال قتادة وغيره: أي: لزم الإسلام حتى يموت.**

**وبمعنى التعليم، ومنه قوله تعالى: {ووجدك ضالا فهدى} (الضحى:7)، أي: وجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك ما لم تكن تعلم. وبمعنى الثبات، ومنه قوله تعالى: {اهدنا الصراط المستقيم} (الفاتحة:3)، أي: بَصِّرنا فيه، وثبتنا عليه. قال القرطبي: ثبتنا على الهداية. وهذا كما يقال للقائم: قم حتى أعود إليك. أي: دُمْ على ما أنت عليه.**

**وإذا أنعمنا النظر في معاني (الهدى) التي جاءت في القرآن الكريم، تبين في المحصلة أنها تعود إلى معنى الإرشاد؛ إذ إن هذا المعنى هو المعنى الأساس الذي تلتقي عليه، وتدور حوله كل تلك المعاني**

**ومن المهم أن نعلم في هذا المقام، أن معرفة المعاني المتعددة للفظ (الهدى)، وغيره من الألفاظ، تعين على فهم القرآن الكريم؛ وذلك أن هذا اللفظ يختلف معناه بحسب السياق الذي يرد فيه .**

**فمثلاً، قوله سبحانه: {إنك لا تهدي من أحببت} (القصص:56)، يبدو معارضاً لقوله تعالى: {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم} (الشورى:52)؛ إذ الآية الأولى تنفي أن يكون الرسول يمكنه هداية من أحب، في حين أن الآية الثانية تثبت له الهداية. لكن إذا رجعنا إلى معاني لفظ (الهدى)، وعلمنا أن الهداية قد يراد بها هداية التوفيق والتسديد والإلهام، وقد يراد بها هداية الدلالة والإرشاد، تبين لنا أن الهداية المنفية في الآية الأولى إنما هي هداية التوفيق والتسديد والإلهام، بينما الهداية المثبتة في الآية الثانية إنما هي هداية الدلالة والإرشاد. (1)**

**===========================**

1. **الأنترنت ـ إسلام ويب ـ موقع المقالا ت**

**والهدى في القرآن على أربعة عشر وجها:**

**ـ أحدها: الثبات. ومنه: (اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ) [الفاتحة:6] أي: ثبتنا عليه.**

**ـ والثاني: البيان. ومنه: (عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ) [البقرة:5]، [لقمان:5].**

**ـ والثالث: الرسول. ومنه: (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى) [البقرة:38]، [طه:123].**

**ـ والرابع: محمد ـ ـ. ومنه: (مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى) [البقرة:159].ـ والخامس: السنة. ومنه: (فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) [الأنعام:90].ـ والسادس: الإصلاح. ومنه: (لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ) [يوسف:52].ـ والسابع: الدعاء. ومنه: (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) [الرعد:7]**

**ـ والثامن: القرآن. ومنه: (أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى) [الإسراء:94]، [الكهف:55]**

**ـ والتاسع: الإيمان. ومنه: (وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) [الكهف:13]**

**ـ والعاشر: الإلهام. ومنه: (أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) أي: ألهم كيف المعاش.**

**ـ والحادي عشر: الموت على الإسلام. ومنه: (وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى) [طه:82].**

**ـ والثاني عشر: الإسلام. ومنه: (إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ) [الحج:67]**

**ـ والثالث عشر: التوحيد. ومنه: (إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ) [القصص:57]**

**ـ والرابع عشر: التوراة. ومنه: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى) [غافر:53] (1)**

**=============================================**

**(1)"البحر الملئان في اقتناص درر معاني القرآن" للشيخ أبي عمران المصمودي**

**ثم قال الشنقيطي في أضواء البيان :**

**ورد لفظ الهدى وما اشتق منه في(305) موضعا، في اثنتين وستين سورة من سور القرآن الكريم، ذكر فيها علماء الوجوه والنظائر ثمانية وعشرين وجها، مع اختلاف بينهم في معنى اللفظ في الآية الواحدة ، وهذه الأوجه، هي:**

**البيان - التوفيق - الإرشاد - الدليل - الدعاء - دين الإسلام - الإيمان - التوحيد - الرسل والكتب - القرآن - التوراة - السّنة - الإلهام - الإصلاح - الثبات - المعرفة - الاستبصار - التعليم - التقديم - الفضل - الثواب - الصواب - الإذكار - الموت على الإسلام - أمر النبي - الاسترجاع - لا يهدي إلى الحجة - التوبة .**

**ثم عقدت موازنة بين أقوال العلماء في الأوجه، من حيث الإتفاق والإنفراد ، وخلصت إلى أنهم اتفقوا في أربعة عشر وجها، هي : البيان ، الإسلام ، الإيمان ، الدعاء ، الرسل والكتب ، المعرفة ، أمر محمد ، القرآن ، التوراة ، التوحيد ، السنة ، الإصلاح ، الإلهام ، الرشاد. وبعد دراسة الأوجه ، لاحظت الآتي:**

**1 - أن عددا من الأوجه المذكورة له معان متقاربة تعود في مدلولاتها إلى معنى الهدى اللغوي ( الإرشاد ) ، وهي : البيان ، الدعاء ، المعرفة ، الإلهام ، التوفيق ، التعليم .**

**2 - أن عددا من الأوجه المذكورة يُسمّى في حد ذاته: هدى ؛ لأنه يُهتدى به، وهي : الإيمان ، الإسلام ، الرسل والكتب ، أمر محمد ،القرآن ، التوراة ، السنة ، الدليل .**

**3 - أن وجه ذكر ( الثبات ، الموت على الإسلام ) ضمن أوجه الهدى ؛ لأنهما عين الهدى - إن صح التعبير.**

**4 - أن ( الصواب ، الاستبصار ) هما الغرض من الهدى .**

**5 - أن معنى ( التقديم ) يحتمل معنى الهدى اللغوي .**

**6 - أن اعتبار ( الإذكار ) وجها من أوجه كلمة الهدى ، استنادا على ورود كلمة الضلال بمعنى النسيان أمر فيه نظر ؛ فليس ما يُقابل الضلال الإذكار في كل حال، إذ قد ورد في قوله تعالى: ( في كتاب لا يضل ربي ولاينسى ) طه: 52 ومعنى ( يضل ) في الآية غير ( ينسى ) إذ التكرار يفيد معنى جديد .**

**7 - أن اعتبار ( الفضل ) وجها من أوجه ورود كلمة الهدى بصيغة التفضيل ، أمر لايُسلم به في كل حال ، إذ أن المقصود منها الزيادة في نفس الهدى .. وإلا لكان الفضل وجها لكل كلمة وردت على هذه الصيغة !**

**8 - حاولت بعد تأمل طويل استنباط وجه إطلاق معنى ( الإصلاح - الثواب ) على كلمة ( الهدى ) إلا أنني لم أهتد فيها إلى شيء ، مع التنبيه على أن أحدا من المفسرين لم يتعرض لهذين المعنيين .**

**9 - أن ما ذُكر من أن ( هدى يعني : لا يهدي إلى الحجة ) و ( هدى يعني : الاسترجاع ) وجهان لكلمة الهدى أمر غير صحيح ، لأ ن كلمة الهدى في القولين لم تُفسر !!**

**10 - أن اعتبار كلمة ( التوبة ) وجها من أوجه كلمة الهدى استنادا على قوله تعالى : ( إنا هدنا إليك ) أمر فيه نظر ، لاختلاف أصل الكلمة موضع الاستدلال عن أصل كلمة الهدى .**

**وإتماماً للفائدةِ في هذا الموضوعِ فقد كنتُ أطالعُ كتاب "وجوه القرآن للضرير النيسابوري" - - في ذكره لأوجهِ كلمةِ ( الهدى ), وهممتُ بكتابتها فوجدتُّ هذا الموضوعَ جزى الله متجاذبَي طرفيهِ خيرَ الجزاءِ , وأحببتُ إتمامهُ بما لم يذكُراهُ .**

**فمن الأوجهِ التي فسِّر بها كلمةَ (الهُدى) أنَّـها الكعبةُ المُشَرَّفةُ كما يدلُّ عليه قوله تعالى (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) فكونُ البيتِ المعظَّمِ هدى للعالمين محمولٌ على أنَّـهُ قبلةٌ لهم في الصَّـلاةِ , وهذا الوجهُ ذكرهُ البغويُّ والثعلبيُّ والزَّمخشريُّ وابنُ الجوزي وأبو حيَّانَ والسيوطيُّ , وغيرهم رحمة الله على الجميع.**

**ومنها أنَّ الهُـدى يُفَسَّرُ بالتعريفِ كما في قوله تعالى (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء ) وهذا الوجهُ ذكرهُ الرازي فجعلَ الهدايةَ المنفيةَ عن النَّبي والمثبتةَ للهِ هي اختصاصُ بعضِ العبادِ بخلقِ المعرفةِ في قلوبِهم , وما أضيفَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم من الهدايةِ في غير هذه الآيةِ محمولٌ على التعريفِ بطريق الجنةِ.**

**ومنها أنَّ الهُدى يفسَّـرُ بأنَّـهُ الحفظُ وذلك في قوله تعالى (وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ) بمعنى: وإن كان انتقالُ القبلةِ من بيت المقدسِ إلى مكةَ لكبيراً وشديداً على القلوبِ إلاَّ من حفظَ الله قلبهُ على الإسلام.**

**\*(الهادي) اسم من اسماء الله الحسنى**

**قال تعالى ( وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آَمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [الحج/54]**

**وقال عز وجل ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ) [الفرقان/31، 32]**

**ومن أثبت هذا الأسم ( الهادي ) من السلف : عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما**

**أخرج مَالِكٌ عَنْ زِيَادِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ فِى خُطْبَتِهِ : "إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْهَادِى ... " وهذا جاء في موطأ مالك - (ج 5 / ص 299) في باب النَّهْىِ عَنِ الْقَوْلِ بِالْقَدَرِ.**

**وأثبته ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك رحمهم الله تعالى وهذا جاء في تفسير الطبري - (ج 16 / ص 354)**

**وأثبت الاسم لله تعالى: شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى 2/18 حيث قال: (ومن أسمائه: الهادي).**

**وأثبته كذلك: الشيخ السعدي رحمه الله .. وأيضا الشيخ سعيد القحطاني في جمعه للأسماء .. وقد أقر جميع ما فيه من الأسماء الشيخ ابن باز رحمه الله.(1)**

**ومن العلماء والمحدثين الإمام مالك بإيراده هذا الأثر ، والخطابي (شأن الدعاء) ، ابن خزيمة في كتاب التوحيد وإثبات الصفات والبيهقي في (الأسماء والصفات والاعتقاد)**

**================================**

**(1) الأنترنت ـ موقع إسلام ويب ـ اضواء البيان ، الأنترنت ـ موقع ملتقى أهل التفسير الكاتب :أبو عبيدة الهاني**

**،واللالكائي - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ،وابن بطة العكبري الحنبلي - الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (1)**

**والهادي:هو الذي يهدي عباده ويرشدهم،ويدلهم إلى ما فيه سعادتهم في دنياهم وأخراهم، وهو الذي بهدايته اهتدى أهل ولايته إلى طاعته ورضاه، وهو الذي بهدايته اهتدى الحيوان لما يصلحه واتقى ما يضره.**

**فالله هو الذي خلق المخلوقات وهداها {الذي خلق فسوّى \*والذي قدّر فهدى}، فهداها الهداية العامة لمصالحها ،وجعلها مهيئة لما خُلقت له ،وهدى هداية البيان ،فأنزل الكتب وأرسل الرسل ،وشرع الشرائع والأحكام ،والحلال والحرام ،وبيّن أصول الدين وفروعه،وهدى وبيّن الصراط المستقيم الموصل إلى رضوانه وثوابه،ووضّح الطرق الأخرى ليحذرها العباد ،وهدى عباده المؤمنين هداية التوفيق للإيمان والطاعة ، وهداهم إلى منازلهم في الجنة كما هداهم في الدنيا إلى سلوك أسبابها وطرقها،فاسمه (الهادي)متناول جميع أنواع الهداية .(2)**

**وهو الذي هدى خواص عباده أولا إلى معرفة ذاته حتى استشهدوا بها على الأشياء وهدى عوام عباده إلى مخلوقاته حتى استشهدوا بها على ذاته وهدى كل مخلوق إلى ما لا بد له منه في قضاء حاجاته فهدى الطفل إلى التقام الثدي عند انفصاله**

**=====================================**

**(1) فتح الباري لابن حجر - (ج 18 / ص 215)**

**(2) الأنترنت ـ موقع شبكة المسك ـ الموضوع : مختصر فقه الأسماء الحسنى للشيخ عبد الرزاق البدر**

**والفرخ إلى التقاط الحب وقت خروجه والنحل إلى بناء بيته على شكل التسديس لكونه أوفق الأشكال لبدنه وأحواها وأبعدها عن أن يتخللها فرج ضائعة وشرح ذلك يطول وعنه عبر قوله تعالى {الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى } سورة طه الآية50 ، وقال تعالى {والذي قدر فهدى } سورة الأعلى/ 3**

**والهداة من العباد الأنبياء والعلماء الذين أرشدوا الخلق إلى السعادة الأخروية وهدوهم إلى صراط الله المستقيم بل الله الهادي لهم على ألسنتهم وهم مسخرون تحت قدرته وتدبيره (1)**

**أنواع الهداية**

**ياتي ذكر هداية الانسان في القرآن بمعنيين:**

**1 ـ بمعنى تعليم الانسان عقائد الاسلام واحكامه: ويسنده القرآن غالبا الى الانبياء الذين بعثهم اللّه لتبليغ الانسان عقائد الاسلام واحكامه.**

**واحيانا يسنده الى اللّه جل اسمه لانه الذي ارسل الانبياء بدين الاسلام.**

**2 ـ بمعنى توفيق اللّه الانسان الى الايمان بعقائد الاسلام والعمل باحكامه وهذا ما يسنده القرآن الى اللّه وحده, تارة مع وصف ان هذه الهداية من مشيئة اللّه, واخرى بدون ذكر مشيئة اللّه. وفي ما ياتي امثلة من مواردها في القرآن الكريم :**

**============================================**

**(1) الأنترنت ـ موقع الكتاب الإسلامي ـ كتاب : المقصد الأسنى لمحمد بن محمد الغزالي**

**وقـد اشـتـرط اللّه لـهذا النوع من الهداية ان يرضاها الناس ويختاروها ويباشروا العمل من اجل الوصول اليها كما ياتي بيانها في ثلاثة بحوث بحوله تعالى.**

**ا ـ الهداية بمعنى التعليم:**

**اسند القرآن هداية الناس بمعنى تبليغ الاسلام الى الانبياء في موارد منها الايات الاتية:**

**ا ـ في سورة الشورى:**

**(وانـك لـتهدي الى صراط مستقيم صراط اللّه الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى اللّه تصير الامور) (الايتان 52 ـ 53).**

**واحيانا ياتي اسناد عن الانبياء في الهداية الى اللّه تعالى كما قال سبحانه:**

**1 ـ في سورة الانبياء: (وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا) (الاية 73).**

**2 ـ في سورة الفتح: (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق) (الاية 28).**

**وبهذا المعنى ـ ايضا ـ اسندت الهداية الى الكتب السماوية مثل قوله تعالى:**

**1 ـ في سورة البقرة: (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) (الاية 185).**

**2 ـ في سورة آل عمران:**

**(وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس) (الايتان 3 ـ 4).**

**وقد ياتي في القرآن اسناد الهداية التعليمية الى اللّه جل اسمه مثل قوله تعالى:**

**1 ـ في سورة البلد في وصف الانسان:**

**(الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين) (الايتان 8 ـ 10).**

**2 ـ في سورة فصلت:**

**(واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) (الاية 17).**

**اذاً فـان اللّه تـبـارك وتـعالى يسند الهداية بمعنى تعليم الاسلام الى انبيائه وكتبه تارة, والى نفسه تـبـارك وتعالى تارة اخرى, لانه الذي ارسل الرسل بتلك الكتب لتعليم الناس, ثم ياتي بعد ذلك دور الانسان في قبول الهداية او رفضها كالاتي بيانه بحوله تعالى.**

**ب ـ اختيار الانسان الهداية او الضلالة وآثارهما:**

**بعد ارسال اللّه الانبياء بالكتب الى الناس فان الناس ينقسمون الى فريقين: فريق يختارون الهداية على الـضـلالـة, وفريق يختارون الضلالة على الهداية كما اخبر اللّه سبحانه وتعالى عنهم في الايات الاتية وقال عز اسمه:**

**1 ـ في سورة النمل:**

**(وان اتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما انا من المنذرين) (الاية 92).**

**2 ـ في سورة يونس:**

**(قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل) (الاية 108).**

**ونظيرها في سورة الاسراء (15).**

**وياتي بعد ذلك توفيق اللّه سبحانه وتعالى للمهتدي, كما اخبر اللّه عز اسمه وقال:**

**1 ـ في سورة مريم: (ويزيد اللّه الذين اهتدوا هدى) (الاية 76).**

**2 ـ في سورة محمد: (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) (الاية 17).**

**ان الـذيـن اخـتاروا الهداية بعد ارسال الرسل, وجاهدوا في سبيل اللّه, استحقوا توفيق اللّه لهم, والـذيـن كـذبوا الرسول واتبعوا هوى النفس حقت عليهم الضلالة, كما اخبر اللّه سبحانه وتعالى عنهما وقال:**

**1 ـ في سورة العنكبوت:**

**(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان اللّه لمع المحسنين) (الاية 69).**

**2 ـ في سورة النحل:**

**(ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا اللّه واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى اللّه ومنهم من حقت عـليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ان تحرص على هداهم فان اللّه لا يهدي من يضل ومالهم من ناصرين واقسموا باللّه جهد ايمانهم لايبعث اللّه من يموت) (الايات 36 ـ 42).**

**3 ـ في سورة الاعراف:**

**(فـريـقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون اللّه ويحسبون انهم مهتدون) (الاية 30).**

**وهذا النوع من الهداية هي التي تاتي بمشيئة اللّه, كما ياتي بيانه بحوله تعالى.**

**ج ـ الهداية بمعنى توفيق الايمان والعمل مسندة الى مشيئة اللّه.**

**جاء ذكر الهداية بمعنى توفيق الايمان والعمل مسنده الى مشية اللّه في قوله تعالى:**

**1 ـ في سورة البقرة:**

**(واللّه يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) (البقرة 142 و213) و(النور 46) و(يونس 25).**

**2 ـ في سورة الانعام:**

**( من يشا اللّه يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم) (الاية 39).**

**3 ـ في سورة القصص:**

**(انك لا تهدي من احببت ولكن اللّه يهدي من يشاء, وهو اعلم بالمهتدين) (الاية 56).**

**قال تعالى:”بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (1) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)”{الفاتحة1-7}**

**يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله- قوله تعالى:” اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6)”{الفاتحة:6} فالهداية: هي البيان والدلالة،ثم التوفيق والإلهام، وهو بعد البيان والدلالة،ولا سبيل إلى البيان والدلالة إلا من جهة الرسل. فإذا حصل البيان والدلالة والتعريف ترتب عليه هداية التوفيق، وجعل الإيمان في القلب،وتحبيبه إليه،وتزيينه في القلب،وجعله مُؤْثِراً له، راضيًا به،راغبًا فيه.**

**وهما هدايتان مستقلتان، لا يحصل الفلاح إلا بهما،وهما متضمنتان تعريف ما لم نعلمه من الحق تفصيلًا وإجمالًا وإلهامنا له، وجعلنا مريدين لاتباعه ظاهرًا وباطنًا، ثم خلق القدرة لنا على القيام بموجب الهدى بالقول والعمل والعزم، ثم إدامة ذلك لنا وتثبيتنا عليه إلى الوفاة.**

**ومن هنا يعلم اضطرار العبد إلى سؤال هذه الدعوة فوق كل ضرورة، وبطلان قول من يقول: إذا كنا مهتدين،فكيف نسأل الهداية؟ فإن المجهول لنا من الحق أضعاف المعلوم،وما لا نريد فعله تهاونًا وكسلًا مثل ما نريده، أو أكثر منه، أو دونه،وما لا نقدر عليه -مما نريده- كذلك، وما نعرف جملته ولا نهتدي لتفاصيله، فأمر يفوت الحصر،ونحن محتاجون إلى الهداية التامة،فمن كملت له هذه الأمور،كان سؤال الهداية له سؤال التثبيت والدوام.**

**وللهداية مرتبة أخرى -وهي آخر مراتبها- وهي: الهداية يوم القيامة إلى طريق الجنة،وهو الصراط الموصل إليها،فمن هُديَّ في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم، الذي أرسل به رسله،وأنزل به كتبه، هُديَّ هناك إلى الصراط المستقيم،الموصل إلى جنته ودار ثوابه،وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار،يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم،وعلى قدر سيره على هذه الصراط يكون سيره على ذاك الصراط،فمنهم من يمر كالبرق،ومنهم من يمر كالطرف،ومنهم من يمر كالريح،ومنهم من يمر كشدَّ الركاب،ومنهم من يسعى سعيًا،ومنهم من يمشي مشيًا،ومنهم من يحبوا حبوًا،ومنهم المخدوش المُسَلَّم،ومنهم المكردس في النار،فلينظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا،حذو القذة بالقذة “جَزَاءً وِفَاقًا “{النبأ:26} ” هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ”{النمل:90}.**

**ولينظر الشبهات والشهوات التي تعوقه عن سيره على هذا الصراط المستقيم، فإنها الكلاليب التي بجنبتي ذاك الصراط،تخطفه وتعوقه عن المرور عليه،فإن كثرت هنا وقويت، فكذلك هي هناك. “وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ”{فصلت:46} فسؤال الهداية متضمن لحصول كل خير،والسلامة من كل شر.**

**وتفصيل أسباب الهداية إلى الصراط المستقيم كمايلي :**

**1. تحقيق التوحيد:**

**لقوله تعالى لرسوله: “قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163)**

**ولقوله تعالى:“الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ(82)”{الأنعام:82}**

**ولقوله تعالى:“وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (36)”{النحل:36}**

**ولقوله تعالى:“قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (71)”{الأنعام:71}**

**ولقوله تعالى:“قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (56)”{الأنعام:56}**

**ولقوله تعالى:“وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (18){الزمر:17}**

**وقال السعدي قوله تعالى : “الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ” لأحسن الأخلاق والأعمال:” وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الألْبَابِ ” أي: العقول الزاكية.**

**توحيد الله تعالى على رأس أعمال الصراط المستقيم:**

**قوله تعالى:“فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (125) وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (126)”{الأنعام:125-126}**

**وقوله تعالى:“هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا {الفتح:28}.**

**تحقيق الإيمان بأركانه وعمل الصالحات:**

**لقوله تعالى: “إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (9)”{يونس:9}**

**يقول العلامة السعدي في” تفسيره”: يقول تعالى:” إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ” أي: جمعوا بين الإيمان، والقيام بموجبه ومقتضاه من الأعمال الصالحة، المشتملة على أعمال القلوب وأعمال الجوارح، على وجه الإخلاص والمتابعة.**

**\*\* يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ } أي: بسبب ما معهم من الإيمان، يثيبهم الله أعظم الثواب، وهو الهداية، فيعلمهم ما ينفعهم، ويمن عليهم بالأعمال الناشئة عن الهداية، ويهديهم للنظر في آياته، ويهديهم في هذه الدار إلى الصراط المستقيم وفي الصراط المستقيم، وفي دار الجزاء إلى الصراط الموصل إلى جنات النعيم،.**

**2. الهداية بالقرآن:**

**قال تعالى:“الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ”{البقرة:1-2}**

**وقوله تعالى:”قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ”{البقرة:38}**

**وقوله تعالى:“شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ”{البقرة:185}**

**وقوله تعالى:” وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (72) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (73) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (74) \*\*\*\* عمران:72-74}**

**وقال تعالى:”:“وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ”{الأعراف:52}**

**وقوله تعالى:“قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى”{طه:123}**

**وقال تعالى:“إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ”{الإسراء:9}**

**وقال تعالى:“طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (1) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ”{النمل:2}**

**وقال تعالى:“الم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (2) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ”{لقمان:1-3}**

**وقال تعالى:“يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ “.{المائدة:15-16}**

**وقال تعالى:“ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ”{الزمر:22-23}**

**القرآن هو الداعي على رأس الصراط المستقيم:**

**وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلاَبِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ:”ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلاَ تَتَفَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ جَوْفِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لاَ تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصَّرِاطُ الإِسْلاَمُ، وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللهِ، تَعَالَى، وَالأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللهِ، تَعَالَى، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلِى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللهِ – عَزَّ وَجَلَّ-، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ”.**

**وَعَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ:كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ، عَنِ الْخَيْرِ، وَأَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، وَعَرَفْتُ أَنَّ الْخَيْرَ لَنْ يَسْبِقَنِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَبَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ ؟ قَالَ: يَا حُذَيْفَةُ، تَعَلَّمْ كِتَابَ اللهِ، وَاتَّبِعْ مَا فِيهِ، ثَلاَثَ مِرَارٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَبَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ ؟ قَالَ: فِتْنَةٌ وَشَرٌّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَبَعْدَ هَذَا الشَّرِّ خَيْرٌ ؟ قَالَ: يَا حُذَيْفَةُ، تَعَلَّمْ كِتَابَ اللهِ، وَاتَّبِعْ مَا فِيهِ، ثَلاَثَ مِرَارٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَبَعْدَ هَذَا الشَّرِّ خَيْرٌ ؟ قَالَ: هُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ، وَجَمَاعَةٌ عَلَى أَقْذَاءٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، الْهُدْنَةُ عَلَى دَخَنٍ مَا هِيَ ؟ قَالَ: لاَ تَرْجِعُ قُلُوبُ أَقْوَامٍ عَلَى الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَبَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ ؟ قَالَ: يَا حُذَيْفَةُ، تَعَلَّمْ كِتَابَ اللهِ، وَاتبِعْ مَا فِيهِ، ثَلاَثَ مِرَارٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَبَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ ؟ قَالَ: فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ صَمَّاءُ، عَلَيْهَا دُعَاةٌ عَلَي أَبْوَابِ اَلنَّارِ، وَأَنْتَ إِنْ تَمُوتَ، يَا حُذَيْفَةُ، وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جِذْلٍ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَتَّبِعَ أَحَدًا مِنْهُمْ.**

**القرآن من أهم أسباب معافاة القلب من أمراض الشهوات والشبهات:**

**لقوله تعالى:”:“يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ “{يونس:57} وقوله تعالى:“قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ”{فصلت:44}**

**وقال ابن القيم: جماع أمراض القلب الشبهات والشهوات والقرآن شفاء لهما ففيه من البينات والبراهين القطيعة والدلالة على المطالب العالية ما لم يتضمنه كتاب سواه فهو الشفاء بالحقيقة لكن ذلك موقوف على فهمه وتقريره المراد فيه.**

**3. متابعة النبي:**

**لقوله تعالى لرسوله ونبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم:“قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163)**

**وقوله تعالي: “وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (52) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (53)”{الشورى:52}**

**ولقوله تعالى: ” وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا “{النور:54}**

**ولقوله تعالى:“قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (158)”الأعراف:158}**

**ولقوله تعالى: “وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (66) وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (67) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (68)”**

**ولقوله تعالى: “وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153)” (الأنعام: 153)**

**4. الإيمان بالغيب ، 5. إقام الصلاة ، 6. إيتاء الزكاة ، 7. خشيـة الله ، 8. صلة الرحم : لقوله تعالى:“الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)”{البقرة:1-5}**

**ولقوله تعالى:“إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (18)”{التوبة:18}**

**9. العلم:**

**لقوله تعالى:“وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ”(1)**

**\*وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ،مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ**

**قال ابن كثير : " مِنْ قَبْل " أَيْ مِنْ قَبْل هَذَا الْقُرْآن " هُدًى لِلنَّاسِ " أَيْ فِي زَمَانهمَا " وَأَنْزَلَ الْفُرْقَان " وَهُوَ الْفَارِق بَيْن الْهُدَى وَالضَّلَال وَالْحَقّ وَالْبَاطِل وَالْغَيّ**

**==============================**

**(1)الأنترنت ـ موقع بنك مقالات**

**وَالرَّشَاد بِمَا يَذْكُرهُ اللَّه تَعَالَى مِنْ الْحِجَج وَالْبَيِّنَات وَالدَّلَائِل الْوَاضِحَات وَالْبَرَاهِين الْقَاطِعَات وَيُبَيِّنهُ وَيُوَضِّحهُ وَيُفَسِّرهُ وَيُقَرِّرهُ وَيُرْشِد إِلَيْهِ وَيُنَبِّه عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ . (1)**

**وقال السعدي : قال تعالى { وأنزل التوراة } أي: على موسى { والإنجيل } على عيسى.{ من قبل } إنزال القرآن { هدى للناس } الظاهر أن هذا راجع لكل ما تقدم، أي: أنزل الله القرآن والتوراة والإنجيل هدى للناس من الضلال، فمن قبل هدى الله فهو المهتدي، ومن لم يقبل ذلك بقي على ضلاله { وأنزل الفرقان } أي: الحجج والبينات والبراهين القاطعات الدالة على جميع المقاصد والمطالب ... (2)**

**\*قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ**

**قال ابن كثي : قال الضحاك عن ابن عباس : جعل الإنسان إنسانا ، والحمار حمارا ، والشاة شاة .**

**وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد : أعطى كل شيء صورته . وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : سوى خلق كل دابة .**

**وقال سعيد بن جبير في قوله : ( أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ) قال : أعطى كل ذي خلق ما يصلحه من خلقه ، ولم يجعل للإنسان من خلق الدابة ، ولا للدابة من خلق الكلب ، ولا للكلب من خلق الشاة ، وأعطى كل شيء ما ينبغي له من النكاح**

**=============================**

**(1)الأنترنت ـ موقع تفسير ابن كثير**

**(2)الأنتر نت ـ الموسوعة الشاملة ـ تفسير السعدي**

**، وهيأ كل شيء على ذلك ، ليس شيء منها يشبه شيئا من أفعاله في الخلق والرزق والنكاح .**

**وقال بعض المفسرين : ( أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ) كقوله تعالى : ( والذي قدر فهدى ) [ الأعلى : 3 ] أي : قدر قدرا ، وهدى الخلائق إليه ، أي : كتب الأعمال والآجال والأرزاق ، ثم الخلائق ماشون على ذلك ، لا يحيدون عنه ، ولا يقدر أحد على الخروج منه . يقول : ربنا الذي خلق الخلق وقدر القدر ، وجبل الخليقة على ما أراد . (1)**

**وقال القرطبي : {ثم هدى } قال ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي : أعطى كل شيء زوجه من جنسه ، ثم هداه إلى منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه ، وعن ابن عباس ثم هداه إلى الألفة والاجتماع والمناكحة . وقال الحسن وقتادة : أعطى كل شيء صلاحه ، وهداه لما يصلحه . وقال مجاهد : أعطى كل شيء صورة ؛ ولم يجعل خلق الإنسان في خلق البهائم ، ولا خلق البهائم في خلق الإنسان ، ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا .**

**يعني بالخلقة الصورة ؛ وهو قول عطية ومقاتل . وقال الضحاك أعطى كل شيء خلقه من المنفعة المنوطة به المطابقة له . يعني اليد للبطش ، والرجل للمشي ، واللسان للنطق ، والعين للنظر ، والأذن للسمع .**

**=================================**

1. **الأنترنت ـ موقع تفسير ابن كثير ﴿٥٠ طه﴾**

**وقيل : أعطى كل شيء ما ألهمه من علم أو صناعة . وقال الفراء : خلق الرجل للمرأة ولكل ذكر ما يوافقه من الإناث ثم هدى الذكر للأنثى . فالتقدير على هذا أعطى كل شيء مثل خلقه .**

**قلت : وهذا معنى قول ابن عباس . الآية بعمومها تتناول جميع الأقوال . وروى زائدة عن الأعمش أنه قرأ { الذي أعطى كل شيء خلقه } بفتح اللام ؛ وهي قراءة ابن إسحاق . ورواها نصير عن الكسائي وغيره ؛ أي أعطى بني آدم كل شيء خلقه مما يحتاجون إليه . فالقراءتان متفقتان في المعنى .(1)**

**\*طريق الهداية**

**إن أعظم وأشرف وأجل نعمة يمتن الله – جل وعلا - بها على عباده نعمة الهداية نعمة الهداية للإيمان والتوحيد، بل لقد افترض الله – جل وعلا – على عباده أن يتضرعوا إليه بطلب الهداية في كل ركعة من ركعات الصلاة سواء كانت الصلاة فريضة أم نافلة، فما من ركعة وإلا تتضرع فيها إلى الله أن يهديك إلى الصراط المستقيم بقولك: {اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ} [الفاتحة:6]. وتنقسم إلى أربعة أقسام:**

**القسم الأول: الهداية العامة:**

**وهي مأخوذة من قول ربي حين سأل فرعون موسى وهارون عن ربهما قال فرعون: {قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى} [طه:49] فأجابه موسى بقوله: {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ**

**======================================**

**(1)الأنترنت ـ موقع تفسير القرطبي**

**شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} [طه:50] هذه هي الهداية العامة {رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} [طه:50]**

**أي: ربنا الذي خلق كل شيء على صورته، وشكله اللائق به، الذي يؤهله ويعينه على أداء المنفعة والمصلحة والمهمة التي خلق من أجله.**

**قال ابن القيم: من تأمل بعض هداياته في خلقه لعلم أنه الإله الواحد الحق الذي يستحق أن يوحد ويستحق أن يعبد بلا منازع أو شريك {رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} [طه:50] أي: ثم هداه إلى ما يصلحه،**

**ويؤهله للقيام بالوظيفة التي خلق من أجلها ووجد من أجلها، هذه هي الهداية العامة لو تدبرت كل شيء في الكون لوصلت إليها.**

**ثانيا: من أقسام الهداية: هداية الدلالة والبيان والتعريف والإرشاد:**

**ومعناها: أن الله – جل وعلا – خلق الإنسان وأرشده ودله وهداه وعرفه طريق الخير والشر.**

**تدبر كل لفظة خلق الله الإنسان ودله وأرشده وبين له وعرفه طريقي الخير والشر.**

**قال تعالى: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [البلد:10] أي: الطريقين: طريق الخير وطريق الشر.**

**قال تعالى: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً} [الإنسان:3]**

**قال ابن القيم: "ولا يكون الرجل من أتباع النبي -صلى الله عليه وسلم- حقا حتى يدعو إلى ما دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم على بصيرة.**

**ثالثا: هداية التوفيق: وهذه لا يملكها مَلَكّ مقرب، ولا نبي مرسل، ولو كان المصطفى صلى الله عليه وسلم، لا يملك هداية التوفيق إلا الله، نعم! لا يملك هداية التوفيق إلا الله، ما عليك فقط إلا أن تبحث عن هداية الدلالة، عن الأسباب، وأن تجاهد، وأن تسأل ربك الهدى ليرزقك هداية التوفيق.**

**أما هداية التوفيق قال الله فيها لنبيه: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ} [القصص:56].**

**روى البخاري وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أبي طالب وهو على فراش الموت وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، فجلس النبي صلى الله عليه وسلم إلى جوار عمه وقال: « يا عم قل: لا إله إلا الله، يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله يوم القيامة» فقال أبو جهل لأبي طالب: أترغب عن ملة عبد المطلب؟! يعني: أتترك دين آبائك وأجدادك، فقال أبو طالب – ولا حول ولا قوة إلا بالله – بأنه على دين عبد المطلب، فخرج الرحمة المهداة والنعمة المسداة صاحب القلب الكبير خرج من عند عمه وهو يقول: «لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك» .. فنزل عليه قول الله عز وجل: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [التوبة:113**

**رابعاً: الهداية في الآخرة: الهداية العامة وهداية الدلالة والبيان، وهداية التوفيق، والهداية في الآخرة، أقسام الهداية وآخر مراتب الهداية. تدبر معي أيها الحبيب اللبيب فمن هدي في الدنيا إلى الصراط المستقيم هدي في الآخرة للسير على قَدْر هداه في الدنيا على الصراط المضروب على متن جهنم.**

**أهل الإيمان يعبرون الصراط إلى الجنة تدبر معي قول ربي: {إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ(23)وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ} أي في الدنيا، وفي الآخرة {وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ} [الحج:24،23].**

**قال ابن القيم: "السابقون في الآخرة إلى الرضوان والجنات، هم السابقون في الدنيا إلى الخيرات والطاعات، وعلى قدر السبق هنا يكون السبق هناك".**

**\*وأعظم أسباب الهداية:**

**أولا : أن تعرف الله، فمن عرف الله بأسماء جلاله وصفات كماله أحبه، من عرف الله أحبه، ومن عرف الله خافه، والحب والخوف هما العبادة، فالعبادة هي كمال الحب لله، مع كمال الذل لله، ومن عبد الله – عز وجل – وحده لا شريك له فقد هدي إلى الصراط المستقيم، من عبد الله – عز وجل وحده لا شريك له فقد هدي إلى الصراط المستقيم.**

**ثانيا: الإيمان بالله – تبارك وتعالى: تدبر معي هذه الآية الجميلة قال سبحانه: {مَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [التغابن:11] ولو هدى القلب لسجد بين يدي الرب سجدة لا يقوم منها حتى يستمتع بالنظر إلى وجه ربه في الجنة، والله لو ذاق القلب حلاوة السجود ما قام من سجدته، والله لو ذاق القلب حلاوة الإيمان ما فارق هذا الباب أبدا وهدى القلب سبيل السعادة في الدنيا والآخرة {يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ(88)إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء:89،88] اللهم اهد قلوبنا.**

**ثالثا: الاعتصام بالله: {مَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [آل عمران:101] ما هو الصراط المستقيم؟ وأنت تكرر اللفظة كثيرا. قال عليّ رضي الله عنه: الصراط المستقيم هو القرآن. قال ابن عباس رضي الله عنه: الصراط المستقيم هو الإسلام. قال ابن الحنفية رضي الله عنه: الصراط المستقيم هو دين الله، الذي لا يقبل غيره أبدا .. دين الله هو الصراط المستقيم.**

**وفي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد في مسنده وغيره من حديث النواس بن سمعا – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعلى جنبتي الصراط سوران وفيهما أبواب مفتحةوعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى رأس الصراط داع يقول: أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا، ولا تعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط ويقول» إذا أراد الإنسان أن يدخل باباً من هذه الأبواب المفتحة التي أرخيت عليها الستور يقول له الداعي من فوق الصراط: «ويحك ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه».. إن فتحت دخلت، والمعنى قال الحبيب صلى الله عليه وسلم: «الصراط هو الإسلام».. هذا تفسير النبي صلى الله عليه وسلم إذاً للصراط ، الصراط هو الإسلام والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، والداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم» «واعظ الله في قلب كل مسلم».**

**فأنت إذا هممت بمعصية، ترى واعظا في قلبك، يقول لك: لا، لا، تفعل هذا، ابتعد، هذا حرام، وإذا فعلت طاعة تسمع الواعظ في قلبك يزين لك الطاعة يحببها إليك ويحثك على المزيد، وعلى الإكثار، ولذا قال المختار صلى الله عليه وسلم: «البر حسن الخلق، والإثم ماحاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»**

**رابعا : المحافظة على الصلوات.**

**قال ابن مسعود – والحديث رواه مسلم: من سره أن يلقى الله تعالى غداً مسلما، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله قد شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كالمتخلف الذي يصلي في بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق، معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف.**

**خامساً: الصحبة الصالحة من أعظم أسباب الهداية أن تصحب رجلا يذكرك بالله، وأن تبتعد عن رجل يحول بينك وبين معرفة الله: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً(27)يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً(28)لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً} [الفرقان:27-29] لذا قال الحبيب صلى الله عليه وسلم: «لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي» (1).**

**\*إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**

**قال ابن كثير : ذكر تعالى أنهم فتية وهم الشباب، وهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين للّه =================================**

**(1)الأنترنت ـ موقع : وذكر للكاتب : محمد فتحي حسان ، الأنترنت ـ موقع الألوكة**

**تعالى ولرسوله صلى اللّه عليه وسلم شباباً. وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم إلا القليل، وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شباباً. وقال مجاهد: بلغني أنه كان في آذان بعضهم القرطة، يعني الحلق، فألهمهم اللّه رشدهم، وآتاهم تقواهم فآمنوا بربهم، أي اعترفوا له بالوحدانية وشهدوا أنه لا إله إلا هو، { وزدناهم هدى} استدل بهذه الآية وأمثالها على زيادة الإيمان وتفاضله، وأنه يزيد وينقص، ولهذا قال تعالى: { وزدناهم هدى} ، كما قال: { والذين اهتدوا زادهم هدى تقواهم} ، وقد ذكر أنهم كانوا على دين المسيح عيسى ابن مريم، واللّه أعلم.(1)**

**وقال الطبري : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : نحن يا محمد نقص عليك خبر هؤلاء الفتية الذين أوَوْا إلى الكهف بالحق، يعني: بالصدق واليقين الذي لا شك فيه (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ) يقول: إن الفتية الذين أوَوْا إلى الكهف الذين سألك عن نبئهم الملأ من مشركي قومك، فتية آمنوا بربهم، (وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) يقول: وزدناهم إلى إيمانهم بربهم إيمانا، وبصيرة بدينهم، حتى صبروا على هجران دار قومهم، والهرب من بين أظهرهم بدينهم إلى الله ، وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش ولينه، إلى خشونة المكث في كهف الجبل.(2)**

**لقد اختصرَ اللهُ عزَّ وجلَّ تلك القِصَّةَ العالميَّةَ المشهورةَ عند أهلِ الكِتابِ وأهلِ الإسلامِ والمعروفةَ بقصَّةِ أصحابِ الكهفِ بقولِه تعالى: (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) .. سِتَّ كَلِماتٍ قد جمعتْ فَصيحَ البيانِ ..**

**===============================**

**(1)الأنترنت موقع الرو 7 ، تفسير بن كثير (2)الأنترنت ـ موقع تفسير الطبري**

**فيها وصفُ أبطالِ القِصَّةِ الشُّجعانُ (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ) .. وذِكرُ عملِهم الذي جعلَ لهم في التاريخِ شأنٌ (آمَنُوا بِرَبِّهِمْ) .. ثُمَّ النِّهايةُ المُباركةُ من فَضلِ ذي العَطاءِ والإحسانِ (وَزِدْنَاهُمْ هُدًى). (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ) .. هذا الوصفُ لهم من اللهِ تعالى فيه عظيمُ المَدحِ والثناءِ .. فمع حَداثةِ أسنانِهم إلا أنهم آمنوا بربِّ السَّماءِ .. وقَبِلوا الحقَّ الذي ليسَ له خَفاءٌ .. فربطَ اللهُ قلوباً توَجَّهتْ إليه بالدُّعاءِ .. وصَدَعوا بكلمةِ التَّوحيدِ التي اهتزَّ لها الفَضاءُ .. (وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا) .. وصَدَقوا واللهِ .. لقد قالَ شطَطاً أيْ باطلاً وكَذِباً وبُهتاناً من دعا مع اللهِ أحداً.**

**الشَّبابُ هم أكثرُ النَّاسِ جُرْأَةً إذا اقتَنَعوا .. وأَقبلُ للحقِّ إذا صَدَّقوا .. وأَهدى للسَّبيلِ إذا تيَقَّنوا .. وأرهَفُ إحساساً إذا أحبُّوا .. وأذكى في النَظرِ في حقائقِ الأمورِ .. فهاهم نظروا إلى ما عليه قَومُهم من عبادةِ غيرِ الذي خلقَ كلَ شيءٍ فأبدعَ .. ورزقَ كلَ حيٍ فأشبعَ .. وعَبَدوا من دونِه من لا يُبصرُ ولا يَسمعُ .. ومن لا يضرُّ ولا يَنفعُ .. فقالوا: (هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا).**

**وما أجملَ الإيمانَ إذا خالطَتْ بشاشتُه قلوبَ الشَّبابِ .. فامتلأتْ نفوسُهم باليقينِ .. واختلطَ كلامُهم بالتفاؤلِ .. فهاهم يتَّجِهونَ إلى كهفٍ في جَبَلٍ .. وكُلُّهم في ربِّ السمواتِ والأرضِ الأملُ .. (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) .. فقد يأتي من يقولُ: أيُّ رحمةٍ ورُشدٍ في فجوةِ جبلٍ قد اجتمعتْ فيه هوَامُّ الأرضِ؟ .. فنقولُ: إن كانَ الحافظُ هو العزيزُ الجَبَّارُ .. أصبحَ الكهفُ مصدرَ أمانٍ وهدوءٍ واستقرارٍ.**

**وإذا العِنايةُ لاحظتَك عيونُها \*\*\* لا تخشَ من بأسٍ فأنتَ تُصانُ**

**وبكلِّ أرضٍ قد نزلتَ قِفارَها \*\*\* نمْ فالمـَخاوفُ كلُّهنَّ أمــانُ**

**بل أصبحَ من خرجَ طَريداً شَريداً خائفاً .. ينامُ في كهفٍ مفتوحٍ ليسَ له بابٌ .. ومن يراه يفِرُّ هارباً قد امتلأَ قلبُه مَهابةً ورُعباً .. (لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا) .. ومن يكنِ اللهُ معَه فمعَه العينُ التي لا تنامُ .. ومعه القوَّةُ التي لا تُغلَبُ .. وانقلبتْ مخاوفُه أمناً .. وهانت عليه المَشاقُّ .. وسَهُلَ عليه كلُّ عسيرٍ .. وقَربُ له كلُّ بعيدٍ .. وزالتْ همومُه وغمومُه وأحزانُه .. حتى صارَ يَتَقَلَّبُ في نَعيمِ الجنَّةِ وهو لا يزالُ بينَ أهلِه وإخوانِه.**

**وإذا أردتَ أن تعرفَ هذا فانظر إلى هذا الكهفِ المُخيفِ .. كيفَ كانَ بيتاً فسيحاً .. وسَريراً مُريحاً .. ينامونَ فيه سنَواتٍ عديدةً .. (فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا) .. وجعلَ اللهُ تعالى على آذانِهم حِجاباً مانعاً من السَماعِ .. لأنَّ الأصواتِ من أعظمِ وسائلِ تَكديرِ النَّومِ .. فأرادَ اللهُ تعالى لهم أقصى درجاتِ الرَّاحةِ والنَّومِ الهادئِ الذي لا يُعكِّرُ صَفْوه شيءٌ .. (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) .. فلا إله إلا اللهُ .. لا تفسيرَ لهذه الظاهرةِ العجيبةِ الخَبرِ .. إلا قُدرةَ اللهِ تعالى التي لا تُقاسُ بقوانينِ البَشرِ.**

**(وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ) .. حتى الشمسَ سخَّرها اللهُ تعالى لهم .. فإذا طلعتْ تميلُ عن كهفِهم يميناً .. وعندَ غروبِها تميلُ عنه شمالاً .. فلا ينالهُم حرُّها فتتأذى أبدانُهم بها .. (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ) .. قالَ أهلُ التفسيرِ: كانتْ أَعْيُنُهُمْ مَفْتُوحَةً، لئَلا تَفسَدُ، فالناظرُ إليهم يحسَبُهم أيقاظاً، وهم رُقودٌ .. (وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ) أيْ: نُقَلِّبُهُمْ فِي رَقْدَتِهِمْ إِلَى الْجِهَتَيْنِ، لِئَلَّا تَأْكُلَ الْأَرْضُ أَجْسَادَهُمْ .. فهل علمتُم الآنَ معنى قولِه تعالى: (فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا) .. فما أجملَها من كُهُوفٍ .. إن كانَ الصَّاحبُ فيها هو الرَحِيمُ الرَءُوفُ .. فإنها تكونُ سعادةً وأماناً من الخوفِ.**

**ثُمَّ يوقظُهم اللهُ تعالى من رَقدَتِهم الطَّويلةِ كأنهم بُعِثوا من الموتِ .. (وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) .. فسبحانَ الذي أيقظَهم بعدَ (ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) ولم يظهرْ على أحدِّهم ما يدلُّ على هذا الزَّمنِ المديدِ .. لذلك اختلفوا في مقدارِ النَّومِ هل هو يومٌ أو بعضُ يومٍ .. (قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ) .. وما أجملَ أن يَدعَ الشَّبابُ المِراءَ والجِدالَ فيما ليسَ عندَهم فيه علمٌ ويردونَ العلمَ إلى اللهِ (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ) .. ثُمَّ اشتغلوا بما يُهمُّهم من أمرِ الجوعِ وتحصيلِ الطَّعامِ .. (فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا) .. استمتاعٌ بما أحلَّ اللهُ تعالى من الزَّادِ .. وحذرٌ من أهلِ الكُفرِ والزَّيغِ والفَسادِ.**

**واسمع إلى قولِهم: (إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا) .. فاجتمعَ في هؤلاءِ الفِتيةِ الذينَ هجروا الأهلَ والأوطانَ .. وتركوا الأحبابَ والإخوانَ .. أنَّ اللهَ ورسولَه أحبُّ إليهم مما سِواهُما .. وأنّهم اجتمعوا على محبَّةِ اللهِ تعالى .. وهاهم يخافونَ من الرُّجوعِ إلى الكفرِ .. فهذه حلاةُ الإيمانِ التي قالَ عنها النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمانِ، أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمّا سِواهُما، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلاّ للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ في الْكُفْرِ كَما يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ في النَّارِ).**

**ومن عجيبِ هذه القِصَّةِ .. قولُه تعالى: (وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) .. يحرسُهم عندَ البابِ .. فأصابَه ما أصابَهم من النَّومِ على تلك الحالِ .. وهذا فائدةُ صُحبةِ الأخيارِ .. وأنَّ من أحبَّ أهلَ الخيرِ نالَ من بركتِهم .. كلبٌ أحبَّ أهلَ فضلٍ وصحبَهم فذكرَه اللهُ في مُحكمِ تنزيلِه وصار له ذكرٌ وخبرٌ وشأنٌ .. فما ظنُّك بمؤمنٍ مُوَحِّدٍ مُحبٍّ للصَّالحينَ مُجالساً لهم .. لذلك عندما يقولُ اللهُ تعالى لملائكتِه عن أهلِ مجالسِ الذِّكرِ: ( فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ .. يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ .. قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ )**

**ومع كلِّ الأحداثِ العجيبةِ في قِصَّةِ أصحابِ الكهفِ .. يَقُول تَعَالَى ذِكْرُه لِنَبِيِّهِ مُحَمَّد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَمْ حَسِبْت أَنَّ أَصْحَاب الْكَهْف وَالرَّقِيم كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) .. فَإِنَّ مَا خَلَقْتُ مِنْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا فِيهِنَّ مِنْ الْعَجَائِبِ أَعْجَبُ مِنْ أَمْرِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ .. فسبحانَ اللهِ الخبيرِ .. الذي هو على كلِّ شيءٍ قديرٍ.(1)**

**وقال الموصلي : (وزدناهم هدى) (أي: بسبب أصل اهتدائهم إلى الإيمان، زادهم الله من الهدى الذي هو العلم النافع والعمل الصالح). ذلك أن الإيمان وكما هو معلوم متضمن للمجمل والمفصل، فهم آمنوا بمجمله وأصله الذي هو التوحيد؛ فشكر الله تعالى إيمانهم فزادهم من مفصله الذي هو الهدى المتضمن للعلم النافع والعمل الصالح.**

**إن فعل الإيمان نسب إليهم فهو صادر منهم تحصيلاً وسعياً لا إلهاماً وكشفاً. والذي معهم -ابتداءً- هو أصل الإيمان وهو التوحيد بقرينة إطلاقه، وذكر الهدى المتضمن للعمل الصالح في سياقه؛ فالإيمان في الآية متوجه إلى التوحيد بقرينة السياق، فثمة عموم وخصوص بين الإيمان والهدى عند الجمع بينهم والإفراد، فإذا أفرد أحدهما بالذكر يكون متضمناً للآخر، والعكس صحيح، وثمة قرينة أخرى، وهي أن اسم الرب تعالى أضيف إليهم (آمَنُوا بِرَبِّهِمْ)، وذكر الربوبية مع الإيمان هو من باب قرن الإلهية بالربوبية، كما هو المعتاد في السياقات القرآنية لمن تأمل. وإضافة اسم الرب إليهم تشريفاً وتربية لهم، فقد خصّهم الله تعالى بتربيتهم على التوحيد. أما بالنسبة لزيادة الهدى، فثمة فائدة أخرى، ذلكم أن المزاد عليهم من الله تعالى وارد في لفظ الهدى لا بلفظ الإيمان، فلم يقل الله تعالى زدناهم إيماناً بل (وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) مع أن ما عندهم هو من جنس الإيمان، والسبب في هذا التقديم والإيثار يرجع إلى:**

**أولاً: إنما المقصود تكميل الإيمان بمجمله ومفصله، بأصله وفروعه، بعلمه وعمله، بأساسه وبنيانه ...**

**فالفتية لما آمنوا إيماناً مجملاً زادهم الله تعالى الإيمان المفصل الذي جاء ذكره في الآية بلفظ الهدى، لئلا يتوهم أحد أن الزيادة هي في جنس الأصل فقط، بل أن المزاد عليهم وإن كان من جنس ما عندهم لكن هو زائد على قدر ذلك في الإجمال والتفصيل.**

**ثانياً: وهم سعوا إلى سبيل الرشاد هداية واستجابة، فزادهم الله تعالى ووفقهم إلى هداية أخرى أكمل وأتّم من الأولى، فاجتمعت عندهم الهدايتان: هداية الإرشاد، وهداية التوفيق.**

**ثالثاً: ولما كان غالب تعلق الهدى إنما يحصل بتكميل القوة العملية المتفرعة على تكميل القوة العلمية، كان إيثار الهدى في هذا السياق من باب تكميل وتهذيب القوة العملية، والاعتناء بالتزكية.**

**============================**

**(1)الأنترنت ـ موقع ملتقى الخطباء ـ قاله :هلال الهاجري**

**رابعاً: ولعل ثمة فائدة أخرى: هؤلاء الفتية لما آثروا الإيمان على الكفر، والتوحيد على الشرك فقد جاهدوا في الله توحيداً وإيماناً، فلا بدّ من هدايتهم إلى أكمل سبل الهداية كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت:69] فكل من يجاهد في الله توحيداً لا بدّ وأن يُهدى إلى كل سبل الهداية لا إلى سبيل واحدة؛ أي إلى كل شرائع الإيمان وشعبه ولوازمه وثماره.. وقرينة هذا التوجيه ظاهرة في تنكير الهدى في الآية، إذن هي للتعميم ولتعظيم النعمة المزادة عليهم وتفخيمها، فتأمّل.**

**تنبيهات:**

**1- الآية دلت بمنطوقها على أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، يزيد بالأسباب الموجبة لزيادة الإيمان وسعي العباد لتحصيله، وينقص بتركها وعدم إرادة الانتفاع بها، وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة.**

**2- إن إيمان الفتية تحصل عندهم بطريقة الاستجابة إلى منادي الرسل وواعظ الإيمان في القلب، فضلاً عن حصوله بمقتضى العلوم الفطرية التي سلمها الله تعالى من التلوث بدفع المعارض لها، في حين ذهب البعض إلى أن إيمان هؤلاء حصل بمقتضى الإلهام! وهذا خلاف معهود تحصيل الإيمان، إذ لو كان هو المقصود لنوّه السياق له من قريب أو بعيد، وما تقدم من إيضاح كافٍ لرده.**

**هؤلاء الفتية الممدوحة صفتهم قد اجتمعت فيهم خصال تفرقت في غيرهم، فكانوا علماء بين قوم جهال، وكانوا مؤمنين وسط قوم كفار، وكانوا موحِّدين وسط قوم مشركين، وهذه الحال والوصف من موجبه إعلان العداء لهم، فما كان منهم إلا الثبات. فبإيمانهم هذا آثروا محبة الله على محبة سواه، وآثروا الفرار إليه على مصاحبة الأصحاب والأهل والأحباب، فتحققت خصلة إيثار المحبوب في عمل القلب، فكرهوا الردة، وكرهوا ما كان عليه قومهم، لذا قال الله على لسان بعضهم: {إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً} [الكهف:20]. ومن كانت هذه خصاله ذاق حلاوة الإيمان؛ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان في قلبه: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبّه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» [متفق عليه]. فهؤلاء الفتية لما وجدوا أثر حلاوة الإيمان قاموا لله في ذاته قومة التوحيد، والدعوة إلى سبيله تعالى، والتعريف به رباً ومعبوداً، وبأسمائه وصفاته. وفي هذا المعنى الدقيق يقول ابن القيم الجوزية في [المدارج]: (فإن هؤلاء -أي الفتية- كانوا بين قومهم الكفار في خدمة ملكهم الكافر، فما هو إلا أن وجدوا حقيقة الإيمان والتوفيق وذاقوا حلاوته وباشر قلوبهم فقاموا من بين قومهم، وقالوا: (رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً)، والربط على قلوبهم يتضمّن الشدّ عليها بالصبر والتثبيت، وتقويتها وتأييدها بنور الإيمان، حتى صبروا على هجران دار قومهم، ومفارقة ما كانوا فيه من خفض العيش، وفرّوا بدينهم إلى الكهف) (1).**

**\*وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ**

**قال ابن كثير : لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ أَسْرَى بِعَبْدِهِ مُحَمَّد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَطَفَ ===========================**

**(1)الأنترنت ـ موقع شبكة الهداية ـ تأملات في الآية (13) من سورة الكهف قاله : أبو عبد الله فتحي بن عبد الله الموصلي**

**بِذِكْرِ مُوسَى عَبْده وَرَسُوله وَكَلِيمه أَيْضًا فَإِنَّهُ تَعَالَى كَثِيرًا مَا يَقْرُن بَيْن ذِكْر مُوسَى وَمُحَمَّد عَلَيْهِمَا مِنْ اللَّه الصَّلَاة وَالسَّلَام وَبَيْن ذِكْر التَّوْرَاة وَالْقُرْآن وَلِهَذَا قَالَ بَعْد ذِكْر الْإِسْرَاء " وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَاب " يَعْنِي التَّوْرَاة " وَجَعَلْنَاهُ " أَيْ الْكِتَاب " هُدًى " أَيْ هَادِيًا " لِبَنِي إِسْرَائِيل أَلَّا تَتَّخِذُوا " أَيْ لِئَلَّا تَتَّخِذُوا " مِنْ دُونِي وَكِيلًا " أَيْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا وَلَا مَعْبُودًا دُونِي لِأَنَّ اللَّه تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَى كُلّ نَبِيّ أَرْسَلَهُ أَنْ يَعْبُدهُ وَحْده لَا شَرِيك لَهُ .(1)**

**وقال محمد الطاهر ابن عاشور : الكتاب : هو المعهود إيتاؤه موسى عليه السلام ، وهو التوراة ، وضمير الغائب في {جعلناه} للكتاب ، والإخبار عنه بأنه هدى مبالغة ; لأن الهدى بسبب العمل بما فيه فجعل كأنه نفس الهدى ، كقوله تعالى في القرآن هدى للمتقين .**

**وخص بني إسرائيل ; لأنهم المخاطبون بشريعة التوراة دون غيرهم ، فالجعل الذي في قوله وجعلناه هو جعل التكليف ، وهم المراد بـ ( الناس ) في قوله قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس ; لأن الناس قد يطلق على بعضهم ، على أن ما هو هدى لفريق من الناس صالح لأن ينتفع بهديه من لم يكن مخاطبا بكتاب آخر ، ولذلك قال تعالى {إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور }، وقرأ الجمهور ألا تتخذوا بتاء الخطاب على الأصل في حكاية ما يحكى من الأقوال المتضمنة نهيا ،**

**=====================================**

**(1)الأنترنت ـ تفسير ابن كثير ـ سورة الإسراء الآية 2**

**فتكون ( أن ) تفسيرية لما تضمنه لفظ الكتاب من معنى الأقوال ، ويكون التفسير لبعض ما تضمنه الكتاب اقتصارا على الأهم منه وهو التوحيد ، وقرأ أبو عمرو - وحده - بياء الغيبة على اعتبار حكاية القول بالمعنى ، أو تكون ( أن ) مصدرية مجرورة بلام محذوفة حذفا مطردا ، والتقدير : آتيناهم الكتاب لئلا يتخذوا من دوني وكيلا . والوكيل : الذي تفوض إليه الأمور ، والمراد به الرب ; لأنه يتكل عليه العباد في شئونهم ، أي أن لا تتخذوا شريكا تلجأون إليه ، وقد عرف إطلاق الوكيل على الله في لغة بني إسرائيل كما حكى الله عن يعقوب وأبنائه فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل .(1)**

**وقال السعدي : كثيرا ما يقرن الباري بين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم, ونبوة موسى صلى الله عليه وسلم, وبين كتابيهما وشريعتيهما, لأن كتابيهما أفضل الكتب, وشريعتيهما أكمل الشرائع, ونبوتيهما أعلى النبوات, وأتباعهما أكثر المؤمنين. ولهذا قال هنا: " وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ " الذي هو التوراة " وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ " يهتدون به في ظلمات الجهل إلى العلم بالحق. " أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا " أي: وقلنا لهم ذلك, وأنزلنا إليهم الكتاب لذلك, ليعبدوا الله وحده, وينيبوا إليه, ويتخذوه وحده, وكيلا ومدبرا لهم, في أمر دينهم ودنياهم, ولا يتعلقوا بغيره من المخلوقين الذين لا يملكون شيئا, ولا ينفعونهم بشيء.(2)**

**=================================**

**(1)الأنترنت ـ تفسير القرآن ـ التحرير والتنوير ـ محمد الطاهر ابن عاشور**

**(2)الأنترنت ـ موقع تفسير ابن سعدي ـ طريق الإسلام**

**\*وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ**

**قال تعالى : {وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ }**

**قال ابن كثير : يَقُول كَثِير مِنْ الْمُفَسِّرِينَ إِنَّهَا لَمَّا أَلْقَاهَا تَكَسَّرَتْ ثُمَّ جَمَعَهَا بَعْد ذَلِكَ وَلِهَذَا قَالَ بَعْض السَّلَف فَوَجَدَ فِيهَا هُدًى وَرَحْمَة ؛ وَأَمَّا التَّفْصِيل فَذَهَب وَزَعَمُوا أَنَّ رُضَاضهَا لَمْ يَزَلْ مَوْجُودًا فِي خَزَائِن الْمُلُوك لِبَنِي إِسْرَائِيل إِلَى الدَّوْلَة الْإِسْلَامِيَّة وَاَللَّه أَعْلَم بِصِحَّةِ هَذَا. وَأَمَّا الدَّلِيل الْوَاضِح عَلَى أَنَّهَا تَكَسَّرَتْ حِين أَلْقَاهَا وَهِيَ مِنْ جَوْهَر الْجَنَّة فَقَدْ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ لَمَّا أَخَذَهَا بَعْدَمَا أَلْقَاهَا وَجَدَ فِيهَا " هُدًى وَرَحْمَة لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ " ضَمَّنَ الرَّهْبَة مَعْنَى الْخُضُوع وَلِهَذَا عَدَّاهَا بِاللَّامِ . وَقَالَ قَتَادَة فِي قَوْله تَعَالَى" أَخَذَ الْأَلْوَاح " قَالَ رَبّ إِنِّي أَجِد فِي الْأَلْوَاح أُمَّة خَيْر أُمَّة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَر اِجْعَلْهُمْ أُمَّتِي قَالَ تِلْكَ أُمَّة أَحْمَد : قَالَ رَبّ إِنِّي أَجِد فِي الْأَلْوَاح أُمَّة هُمْ الْآخِرُونَ أَيْ آخِرُونَ فِي الْخَلْق سَابِقُونَ فِي دُخُول الْجَنَّة رَبّ اِجْعَلْهُمْ أُمَّتِي قَالَ تِلْكَ أُمَّة أَحْمَد . قَالَ رَبّ إِنِّي أَجِد فِي الْأَلْوَاح أُمَّة أَنَاجِيلهمْ فِي صُدُورهمْ يَقْرَءُونَهَا وَكَانَ مَنْ قَبْلهمْ يَقْرَءُونَ كِتَابهمْ نَظَرًا حَتَّى إِذَا رَفَعُوهَا لَمْ يَحْفَظُوا شَيْئًا وَلَمْ يَعْرِفُوهُ وَإِنَّ اللَّه أَعْطَاهُمْ مِنْ الْحِفْظ شَيْئًا لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا مِنْ الْأُمَم قَالَ رَبّ اِجْعَلْهُمْ أُمَّتِي قَالَ تِلْكَ أُمَّة أَحْمَد . قَالَ رَبّ إِنِّي أَجِد فِي الْأَلْوَاح أُمَّة يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ الْأَوَّل وَبِالْكِتَابِ الْآخِر وَيُقَاتِلُونَ فُصُول الضَّلَالَة حَتَّى يُقَاتِلُونَ الْأَعْوَر الْكَذَّاب فَاجْعَلْهُمْ أُمَّتِي قَالَ تِلْكَ أُمَّة أَحْمَد قَالَ رَبّ إِنِّي أَجِد فِي الْأَلْوَاح أُمَّة صَدَقَاتهمْ يَأْكُلُونَهَا فِي بُطُونهمْ وَيُؤْجَرُونَ عَلَيْهَا وَكَانَ مَنْ قَبْلهمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَقُبِلَتْ مِنْهُ بَعَثَ اللَّه نَارًا فَأَكَلَتْهَا وَإِنْ رُدَّتْ عَلَيْهِ تُرِكَتْ فَتَأْكُلهَا السِّبَاع وَالطَّيْر وَإِنَّ اللَّه أَخَذَ صَدَقَاتهمْ مِنْ غَنِيّهمْ لِفَقِيرِهِمْ قَالَ رَبّ فَاجْعَلْهُمْ أُمَّتِي قَالَ تِلْكَ أُمَّة أَحْمَد . قَالَ رَبّ إِنِّي أَجِد فِي الْأَلْوَاح أُمَّة إِذَا هَمَّ أَحَدهمْ بِحَسَنَةٍ ثُمَّ لَمْ يَعْمَلهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَة فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْر أَمْثَالهَا إِلَى سَبْعمِائَةٍ رَبّ اِجْعَلْهُمْ أُمَّتِي قَالَ تِلْكَ أُمَّة أَحْمَد . قَالَ رَبّ إِنِّي أَجِد فِي الْأَلْوَاح أُمَّة هُمْ الْمَشْفُوعُونَ وَالْمَشْفُوع لَهُمْ فَاجْعَلْهُمْ أُمَّتِي قَالَ تِلْكَ أُمَّة أَحْمَد .(1)**

**\*فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**

**قوله تعالى : {ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون}﴿ الأعراف﴾**

**قال ابن عاشور : " الواو في ولقد جئناهم عاطفة هذه الجملة على جملة ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ، عطف القصة على القصة ، والغرض على الغرض ، فهو كلام أنف انتقل به من غرض الخبر عن حال المشركين في الآخرة إلى غرض وصف أحوالهم في الدنيا ، المستوجبين بها لما سيلاقونه في الآخرة ، وليس هو من الكلام الذي عقب الله به كلام أصحاب الجنة في قوله فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا لأن قوله هنا هل ينظرون إلا تأويله إلخ ، يقتضي أنه حديث عن إعراضهم عن القرآن في الدنيا ، فضمير الغائبين في قوله :**

**=============================**

**(1)الأنترنت ـ تفسير ابن كثير ـ الأعراف آية 154**

**{جئناهم } عائد إلى الذين كذبوا في قوله إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء الآية .**

**والمراد بالكتاب القرآن . والباء في قوله بكتاب لتعدية فعل جئناهم ، مثل الباء في قوله ذهب الله بنورهم فمعناه : أجأناهم كتابا ، أي جعلناه جاءيا إياهم ، فيئول إلى معنى أبلغناهم إياه وأرسلناه إليهم .**

**وتأكيد هذا الفعل بلام القسم وقد إما باعتبار صفة كتاب ، وهي جملة فصلناه على علم هدى ورحمة فيكون التأكيد جاريا على مقتضى الظاهر ، لأن المشركين ينكرون أن يكون القرآن موصوفا بتلك الأوصاف ، وإما تأكيد لفعل جئناهم بكتاب ، وهو بلوغ الكتاب إليهم فيكون التأكيد خارجا على خلاف مقتضى الظاهر ، بتنزيل المبلغ إليهم منزلة من ينكر بلوغ الكتاب إليهم ، لأنهم في إعراضهم عن النظر والتدبر في شأنه بمنزلة من لم يبلغه الكتاب ، وقد يناسب هذا الاعتبار ظاهر قوله بعد : يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق .**

**وتنكير كتاب ، وهو معروف ، قصد به تعظيم الكتاب ، أو قصد به النوعية ، أي ما هو إلا كتاب كالكتب التي أنزلت من قبل ، كما تقدم في قوله تعالى كتاب أنزل إليك في طالع هذه السورة .**

**و فصلناه أي بيناه أي بينا ما فيه ، والتفصيل تقدم عند قوله تعالى : وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين في سورة الأنعام .**

**و على علم ظرف مستقر في موضع الحال من فاعل فصلناه ، أي حال كوننا على علم ، وعلى للاستعلاء المجازي ، تدل على التمكن من مجرورها ، كما في قوله : أولئك على هدى من ربهم وقوله قل إني على بينة من ربي في سورة الأنعام . ومعنى هذا التمكن أن علم الله تعالى ذاتي لا يعزب عنه شيء من المعلومات .**

**وتنكير علم للتعظيم ، أي عالمين أعظم العلم ، والعظمة هنا راجعة إلى كمال الجنس في حقيقته ، وأعظم العلم هو العلم الذي لا يحتمل الخطأ ولا الخفاء أي عالمين علما ذاتيا لا يتخلف عنا ولا يختلف في ذاته ، أي لا يحتمل الخطأ ولا التردد .**

**وهدى ورحمة حال من كتاب ، أو من ضميره في قوله : فصلناه . ووصف الكتاب بالمصدرين هدى ورحمة إشارة إلى قوة هديه الناس وجلب الرحمة لهم .**

**وجملة هدى ورحمة لقوم يؤمنون إشارة إلى أن المؤمنين هم الذين توصلوا للاهتداء به والرحمة ، وأن من لم يؤمنوا قد حرموا الاهتداء والرحمة ، وهذا كقوله تعالى في سورة البقرة هدى للمتقين .(1)**

**\*فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ**

**إن الله تبارك وتعالى قسَمَ الناس إلى فريقين : فريق منَّ عليهم بالهداية وشرح صدورهم للإسلام ووفقهم لطاعة الرحمن ، وفريق حقت عليهم الضلالة فهم في غيِّهم يعمهون وفي باطلهم يتقلَّبون وعن طاعة ربهم وعبادته سبحانه معرضون ، ولقد بعث الله أنبياءه ورسله وأصفياءه دعاةً إلى الإيمان والحق والهدى ، ونهاةً عن الكفر والباطل والردى ؛ وانقسم الناس تجاه دعوة النبيين إلى فريقين ، قال الله تعالى :**

**==============================**

**(1)تفسير القرآن ـ التحرير والتنوير ـ محمد الطاهر ابن عاشور**

**﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل:36] ، وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل:45] أي: فريقٌ قبِل دعوة النبيين وآمن بهم ، وفريقٌ أبى ذلك ولم يرضَ لنفسه إلا الكفر طريقا ؛ ثم هم كما وصف الله ﴿ يَخْتَصِمُونَ﴾ أي : كلُّ فريق يدَّعي أن الحق معه وأنه هو صاحبه ، وقد جرت العادة - عادة فريق أهل الباطل ، فريق أهل الكفر**

**والضلال - العُجب بحضاراتهم والاغترار بدنياهم ويجعلون ذلك مقياساً على أحقيَّتهم ، وتأمل في هذا قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم:73] أي نحن أم أنتم ؟ وها نحن نتمتع بحضاراتٍ وصناعاتٍ وأمور دنيوية ليس عندكم منها شيء ؛ ﴿ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ !! ونسي هؤلاء أنَّ ما يتحدثون عنه وما جعلوه مقياساً إنما هو حطامٌ زائل ومتاعٌ فان ، ولهذا قال الله تعالى في الآية التي تلي هذه الآية : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا (74) ﴾ .**

**وفي حديث القرآن عن الفريقين ضرب الرب جل وعلا مثلاً عظيما يتضح به جليًّا حال الفريقين ويتجلى أمرهما تماما ، قال الله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ﴾ تأمل في هاتين الحالتين ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [هود:24] أي : لا يستوي أهل الإيمان بما عندهم من بصيرةٍ ونورٍ وهدايةٍ وضياء ، وأهل الكفر الذين هم في عمايةٍ وضلالٍ وغوايةٍ وصدود .**

**ومن هدايات القرآن وبياناته العظيمة لحال الفريقين ذِكْر المآلات ؛ مآل هؤلاء ومآل هؤلاء ، وهو مقامٌ جديد بالعناية والتأمل ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:81] أي فريق أهل الإيمان أو فريق الكفر والطغيان ؟ والجواب الذي لا جواب غيره على ذلك هو قول الله تعالى في الآية التي تلي هذه الآية : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82) ﴾ .**

**والحديث عن المآلات - مآلات الفريقين - حديثٌ واسع ، وهو من الأمور التي تكررت بياناً وإيضاحاً وتجليةً في كتاب الله ، من ذلكم قول الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى:7] ؛ إنه مآلٌ أيها المؤمنون جدير بالتأمل : ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ ﴾ أي كتب الله جل وعلا لهم النجاة والفوز والسعادة الأبدية حيث إنَّ الله عزَّ وجل نجَّاهم من النار وجعلهم من أهل الجنة بنعيمها العظيم وخيرها الدائم المستمر ﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران:185] ، أما الفريق الآخر فإنه فريق يُركَمُ بعضه على بعض في نار جهنم فيبقون فيها أبد الآباد . فهذه حال الفريقين وهذا هو مآلهما وجديرٌ بالمؤمن أن يتأمل في حال الفريقين وأن ينحاز دوماً وأبداً إلى فريق أهل الإيمان سائلاً ربه تبارك وتعالى ومولاه أن يثبِّته على الإيمان وأن يجعله في ركب الهداية وفريق الإسلام ، وأن يعيذه من فريق الضلال والغي والباطل والكفر.**

**حمانا الله وإياكم ، ووقانا ووقاكم ، وهدانا أجمعين إليه صراطاً مستقيما ، وأصلح لنا شأننا كله .(1)**

**=========================================**

**(1)الأنترنت ـ موقع الشيخ عبدالرزاق البدر(خطبة جمعة )**

**وقال السعدي : " فَرِيقًا " منكم " هدى " اللّه, أي: وفقهم للهداية, ويسر لهم أسبابها, وصرف عنهم موانعها.**

**" وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ " أي: وجبت عليهم الضلالة, بما تسببوا لأنفسهم, وعملوا بأسباب الغواية.**

**" إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ " ومن يتخذ الشيطان وليا من دون اللّه, فقد خسر خسرانا مبينا.**

**فحين انسلخوا من ولاية الرحمن, واستحبوا ولاية الشيطان, حصل لهم النصيب الوافر, من الخذلان, ووكلوا إلى أنفسهم فخسروا أشد الخسران.**

**" وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ " لأنهم انقلبت عليهم الحقائق, فظنوا الباطل حقا, والحق باطلا.**

**وفي هذه الآيات, دليل على أن الأوامر والنواهي, تابعة للحكمة والمصلحة. حيث ذكر تعالى, أنه لا يتصور أن يأمر بما تستفحشه وتنكره العقول. وأنه لا يأمر إلا بالعدل والإخلاص. وفيه دليل على أن الهداية, بفضل اللّه ومنه, وأن الضلالة بخذلانه للعبد, إذ تولى - بجهله وظلمه - الشيطان, وتسبب لنفسه بالضلال. وأن من حسب أنه مهتد, وهو ضال, فإنه لا عذر له, لأنه متمكن من الهدى. وإنما أتاه حسبانه, من ظلمه بترك الطريق الموصل إلى الهدى.(1)**

**==================================**

**(1)الأنترنت ـ موقع طريق الإسلام ـ سورة الأعراف آية رقم 30- تفسير السعدي**

**\*أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**

**" ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين "**

**لما ذكر الله عبده وخليله, إبراهيم عليه السلام, وذكر ما من الله عليه به, من العلم والدعوة, والصبر, ذكر ما أكرمه الله به من الذرية الصالحة, والنسل الطيب.**

**وأن الله جعل صفوة الخلق من نسله, وأعظم بهذة المنقبة والكرامة الجسيمة, التي لا يدرك لها نظير فقال: " وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ " ابنه, الذي هو إسرائيل, أبو الشعب الذي فضله الله على العالمين.**

**" كُلًّا " منهما " هَدَيْنَاهُ " الصراط المستقيم, في علمه وعمله.**

**" وَنُوحًا هَدَيْنَا " ه " مِنْ قَبْلُ " وهدايته أعلى أنواع الهدايات الخاصة التي لم تحصل إلا لأفراد من العالم وهم أولو العزم من الرسل, الذي هو أحدهم " وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ " يحتمل أن الضمير عائد إلى نوح, لأنه أقرب مذكور, لأن الله ذكر مع من ذكر, لوطا, وهو من ذرية نوح, لا من ذرية إبراهيم لأنه ابن أخيه.**

**ويحتمل أن الضمير يعود إلى إبراهيم لأن السياق في مدحه والثناء عليه. ولوط - وإن لم يكن من ذريته - فإنه ممن آمن على يده. فكان منقبة الخليل وفضيلته بذلك, أبلغ من كونه مجرد ابن له. " دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ " بن داود " وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ " بن يعقوب." وَمُوسَى وَهَارُونَ " ابني عمران. " وَكَذَلِكَ " كما أصلحنا ذرية إبراهيم الخليل, لأنه أحسن في عبادة ربه, وأحسن في نفع الخلق كذلك." نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ " بأن نجعل لهم من الثناء الصدق, والذرية الصالحة, بحسب إحسانهم. " وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين "" وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى " ابنه " وَعِيسَى " بن مريم. " وَإِلْيَاسَ كُلٌّ " هؤلاء " مِنَ الصَّالِحِينَ " في أخلاقهم وأعمالهم, وعلومهم, بل هم سادة الصالحين وقادتهم, وأئمتهم. " وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين "" وَإِسْمَاعِيلَ " ابن إبراهيم أبو الشعب, الذي هو أفضل الشعوب, وهو الشعب العربي, ووالد سيد ولد آدم, محمد صلى الله عليه وسلم.**

**" وَيُونُسَ " بن متى " وَلُوطًا " بن هاران أخي إبراهيم. " وَكُلَا " من هؤلاء الأنبياء والمرسلين " فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ " لأن درجات الفضائل أربع - والتي ذكرها الله بقوله: " وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ " . فهؤلاء من الدرجة العليا, بل هم أفضل الرسل على الإطلاق.**

**فالرسل الذين قصهم الله في كتابه, أفضل ممن لم يقصص علينا نبأهم بلا شك. " ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم " " وَمِنْ آبَائِهِمْ " أي:: آباء هؤلاء المذكورين " وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ " .**

**أي: وهدينا من آباء هؤلاء وذرياتهم وإخوانهم." وَاجْتَبَيْنَاهُمْ " أي اخترناهم " وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " .**

**" ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون "" ذَلِكَ " الهدى المذكور " هُدَى اللَّهِ " الذي لا هدى إلا هداه." يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ " فاطلبوا منه الهدى فإن لم يهدكم, فلا هادي لكم غيره, وممن شاء هدايته, هؤلاء المذكورون. " وَلَوْ أَشْرَكُوا " على الفرض والتقدير " لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " . فإن الشرك محبط للعمل, موجب للخلود في النار. فإذا كان هؤلاء الصفوة الأخيار, لو أشركوا - وحاشاهم - لحبطت أعمالهم فغيرهم أولى." أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين "" أُولَئِكَ " المذكورون " الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ " أي: امش - أيها الرسول الكريم - خلف كل هؤلاء الأنبياء الأخيار, واتبع ملتهم. وقد امتثل صلى الله عليه وسلم, فاهتدى بهدي الرسل قبله, وجمع كل كمال فيهم. فاجتمعت لديه, فضائل وخصائص, فاق بها جميع العالمين, وكان سيد المرسلين, وإمام المتقين, صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. وبهذا الملحظ, استدل بهذا من استدل من الصحابة, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم, أفضل الرسل كلهم. " قُلْ " للذين أعرضوا عن دعوتك: " لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا " .**

**أي: لا أطلب منكم مغرما ومالا, جزاء عن إبلاغي إياكم, ودعوتي لكم فيكون من أسباب امتناعكم, إن أجري إلا على الله. " إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ " يتذكرون به ما ينفعهم, فيفعلونه, وما يضرهم, فيذرونه. ويتذكرون به, معرفة ربهم, بأسمائه, وأوصافه. ويتذكرون به الأخلاق الحميدة, والطرق الموصلة إليها, والأخلاق الرذيلة, والطرق المفضية إليها. فإذا كان ذكرى للعالمين, كان أعظم نعمة, أنعم الله بها عليهم, فعليهم قبولها والشكر عليها.(1)**

**وقال الطبري : القول في تأويل قوله : أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ**

**يقول تعالى ذكره: " أولئك "، هؤلاء القوم الذين وكلنا بآياتنا وليسوا بها بكافرين, هم الذين هداهم الله لدينه الحق, وحفظ ما وكلوا بحفظه من آيات كتابه، والقيام بحدوده،**

**================================**

**(1)الأنترنت ـ موقع طريق الإسلام ـ سورة الأنعام**

**واتباع حلاله وحرامه، والعمل بما فيه من أمر الله، والانتهاء عما فيه من نهيه, فوفقهم جل ثناؤه لذلك " فبهداهم اقتده "، يقول تعالى ذكره: فبالعمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم، والتوفيق الذي وفقناهم " اقتده "، يا محمد، أي: فاعمل، وخذ به واسلكه, فإنه عمل لله فيه رضًا، ومنهاجٌ من سلكه اهتدى. (1)**

**وقال الرازي : قوله تعالى {أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده }**

**في الآية مسائل :**

**المسألة الأولى : لا شبهة في أن قوله : ( أولئك الذين هدى الله ) هم الذين تقدم ذكرهم من الأنبياء ، ولا شك في أن قوله : ( فبهداهم اقتده ) أمر لمحمد - عليه الصلاة والسلام - ، وإنما الكلام في تعيين الشيء الذي أمر الله محمدا أن يقتدي فيه بهم ، فمن الناس من قال : المراد أنه يقتدي بهم في الأمر الذي أجمعوا عليه ، وهو القول بالتوحيد والتنزيه عن كل ما لا يليق به في الذات والصفات والأفعال وسائر العقليات ، وقال آخرون : المراد الاقتداء بهم في جميع الأخلاق الحميدة والصفات الرفيعة الكاملة من الصبر على أذى السفهاء والعفو عنهم ، وقال آخرون : المراد الاقتداء بهم في شرائعهم إلا ما خصه الدليل ، وبهذا التقدير كانت هذه الآية دليلا على أن شرع من قبلنا يلزمنا ، وقال آخرون : إنه تعالى إنما ذكر الأنبياء في الآية المتقدمة ليبين أنهم كانوا محترزين عن الشرك مجاهدين بإبطاله بدليل أنه ختم الآية بقوله : ( ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ) ثم أكد إصرارهم على التوحيد وإنكارهم للشرك بقوله : ( فإن يكفر بها**

**============================**

**(1)الأنترنت ـ تفسير الطبري**

**هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ) .**

**ثم قال في هذه الآية : ( أولئك الذين هدى الله ) أي هداهم إلى إبطال الشرك وإثبات التوحيد ( فبهداهم اقتده ) أي اقتد بهم في نفي الشرك وإثبات التوحيد وتحمل سفاهات الجهال في هذا الباب . وقال آخرون : اللفظ مطلق فهو محمول على الكل إلا ما خصه الدليل المنفصل .**

**المسألة الثانية : احتج العلماء بهذه الآية على أن رسولنا - صلى الله عليه وسلم - أفضل من جميع الأنبياء - عليهم السلام - ، وتقريره : هو أنا بينا أن خصال الكمال ، وصفات الشرف كانت مفرقة فيهم بأجمعهم ، فداود وسليمان كانا من أصحاب الشكر على النعمة ، وأيوب كان من أصحاب الصبر على البلاء ، ويوسف كان مستجمعا لهاتين الحالتين ، وموسى - عليه السلام - كان صاحب الشريعة القوية القاهرة والمعجزات الظاهرة ، وزكريا ، ويحيى ، وعيسى ، وإلياس ، كانوا أصحاب الزهد ، وإسماعيل كان صاحب الصدق ، ويونس صاحب التضرع ، فثبت إنه تعالى إنما ذكر كل واحد من هؤلاء الأنبياء ؛ لأن الغالب عليه كان خصلة معينة من خصال المدح والشرف ، ثم إنه تعالى لما ذكر الكل أمر محمدا - عليه الصلاة والسلام - بأن يقتدي بهم بأسرهم ، فكان التقدير كأنه تعالى أمر محمدا - صلى الله عليه وسلم - أن يجمع من خصال العبودية والطاعة كل الصفات التي كانت مفرقة فيهم بأجمعهم ، ولما أمره الله تعالى بذلك ، امتنع أن يقال : إنه قصر في تحصيلها ، فثبت أنه حصلها ، ومتى كان الأمر كذلك ، ثبت أنه اجتمع فيه من خصال الخير ما كان متفرقا فيهم بأسرهم ، ومتى كان الأمر كذلك ، وجب أن يقال : إنه أفضل منهم بكليتهم . والله أعلم .**

**المسألة الثالثة : قال الواحدي : قوله : ( هدى الله ) دليل على أنهم مخصوصون بالهدى ؛ لأنه لو هدى جميع المكلفين لم يكن لقوله : ( أولئك الذين هدى الله ) فائدة تخصيص .**

**المسألة الرابعة : قال الواحدي : الاقتداء في اللغة إتيان الثاني بمثل فعل الأول لأجل أنه فعله . روى اللحياني عن الكسائي أنه قال : يقال : لي بك قدوة وقدوة . (1)**

**\*ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**

**قال ابن عاشور : قال تعالى : {ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ }**

**استئناف بياني ، أي لا تعجبوا من هديهم وضلال غيرهم . والإشارة إلى الهُدى الّذي هو مصدر مأخوذ من أفعال الهداية الثلاثة المذكورة في الآية قبلها ، وخصوصاً المذكور آخراً بقوله { وهديناهم إلى صراط مستقيم } [ الأنعام : 87 ]. وقد زاد اسمُ الإشارة اهتماماً بشأن الهدي إذ جعل كالشيء المشاهد فزيد باسم الإشارة كمالُ تمييز ، وأخبِر عن الهدي بأنّه هدى الله لتشريف أمره وبيان عصمته من الخطأ والضلال ، وفيه تعريض بما عليه المشركون ممّا يزعمونه هدى ويتلقّونه عن كبرائهم ، أمثال عَمْرو بن لُحَيّ الذي وضع لهم عبادة الأصنام ،ومثلِ الكهّان وأضرابهم .**

**=======================================**

**(1)الأنترنت ـ موقع المكتبة الإسلامية ـ التفسير الكبير ـ سورة الأنعام الآية 90 للإمام فخر الدين الرازي**

**وقوله تعالى : { يهدي به من يشاء من عباده } جملة في موضع الحال من { هُدى الله }.والمراد ب { من يشاء } الّذين اصطفاهم الله واجتباهم وهو أعلم بهم وباستعدادهم لهديه ونبذهم المكابرة وإقبالهم على طلب الخير وتطلّعهم إليه وتدرّجهم فيه إلى أن يبلغوا مرتبة إفاضة الله عليهم الوحيَ أو التّوفيق والإلهام الصادق . ففي قوله : { من يشاء } من الإبهام ما يبعث النّفوس على تطلّب هُدى الله تعالى والتّعرّض لنفحاته ، وفيه تعريض بالمشركين الّذين أنكروا نبوءة محمّد صلى الله عليه وسلم حسداً ، ولذلك أعقبه بقوله { ولو أشركوا لحَبِط عنهم ما كانوا يعملون } تفظيعاً لأمر الشرك وأنّه لا يغتفر لأحد ولو بلغ من فضائل الأعمال مبلغاً عظيماً مثل هؤلاء المعدودين المنوّه بهم . والواو للحال . و«حبط» معناه تلف ، أي بطل ثوابه . وقد تقدّم في قوله تعالى : { ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم } في سورة (1)**

**\*وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ.**

**مناسبةُ الآيةِ لما قَبلَها:**

**لَمَّا نَصَّ اللهُ سبحانه على مَن ذَكَر من الأنبياءِ عليهم السَّلام، وخَتَم بتفضيلِ كلٍّ على العالَمينَ- أتبَعَه على سبيلِ الإجمالِ أنَّ غيرَهم كان مَهدِيًّا، فرَغَّبَ في سلوكِ هذا السَّبيلِ بكثرَةِ سالِكيه، وحَثًّا على منافَسَتِهم في حُسنِ الاستقامةِ عليه، والسُّلوكِ فيه**

**=========================================**

**(1)الأنترنت ـ تفسير ابن عاشور**

**وأيضًا لَمَّا بيَّن اللهُ تعالى هؤلاءِ الرُّسُلَ الكِرامَ، ذَكَرَ أنَّه هدى بعضَ أُصولِهم وفُروعِهم وبَعضَ حواشِيهم فقال: {وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }**

**أي: وهَدَيْنا أيضًا بعضَ آباءِ مَن تقدَّم ذِكْرُهم؛ من الأنبياءِ والرُّسُلِ الكرامِ عليهم السَّلامُ، وهدَيْنا بعضَ ذُرِّيَّاتهم، وبعضَ إخوانِهم، واختَرْناهم لِدينِنا، وإبلاغِ رِسالَتِنا إلى من أَرْسَلْناهم إليه، وسدَّدْناهم، فأرشَدْناهم إلى طريقِ الحقِّ الذي لا عِوَجَ فيه، والدِّينِ الخالِصِ الذي لا شِرْكَ فيه، فوفَّقناهم لاتِّباعِه {ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } {ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ.} أي: هذا الهُدى الذي هُدِيَ به أولئك الأنبياءُ والرُّسُلُ، فوُفِّقُوا للحَقِّ، هو هُدَى اللهِ الذي لا هُدَى إلا هُداه، فيُوفِّقُ لإصابةِ الحَقِّ مَن يَشاءُ اللهُ هدايَتَه من عبادِه {وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ.}**

**أي: ولو أنَّ هؤلاء الأنبياءَ والرُّسُلَ الكِرامَ الذين هداهم اللهُ أَشْرَكوا بِرَبِّهم سبحانه وتعالى- على سبيلِ الفَرْضِ والتقديرِ- لبَطَلَ وذهب عنهم أجْرُ جميعِ ما عَمِلوه من الخيرِ؛ فاللهُ تعالى لا يَقبَلُ مع الشِّرْك به عملًا**

**كما قال تعالى: وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ { بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ الزمر}**

**الهدى هدى الله ﭧ ﭨ ﭽ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ**

**قال ابن كثير : قال اللّه تعالى: { قل إن الهدى هدى اللّه} أي هو الذي يهدي قلوب المؤمنين إلى أتم الإيمان، بما ينزله على عبده ورسوله صلى اللّه عليه وسلم من الآيات البينات، والدلائل القاطعات والحجج الواضحات، وإن كتمتم أيها اليهود ما بأيديكم من صفة محمد النبي الأمي، في كتبكم التي نقلتموها عن الأنبياء الأقدمين.**

**وقال القرطبي : ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم { قل إن الهدى هدى الله} . أي إن البيان الحق هو بيان الله عز وجل { أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم} بين ألا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم (1)**

**وإن البشرية لتخبط في التيه ، كلما تركت هذا الهدى ، أو انحرفت عن شيء منه واستبدلت به شيئاً من تصوراتها هي ومقولاتها ، وأنظمتها وأوضاعها ، وشرائعها وقوانينها ، وقيمها وموازينها ، بغير « علم » ولا « هدى » ولا « كتاب منير » . .**

**إن « الإنسان » موهوب من الله القدرة على تعرف بعض نواميس الكون وبعض طاقاته وقواه ، للانتفاع بها في الخلافة في الأرض ، وترقية هذه الحياة . .**

**==========================**

**(1)الأنترنت ــ تفسير بن كثير**

**ولكن هذا الإنسان ذاته غير موهوب من الله القدرة على استكناه الحقائق المطلقة في هذا الكون ، ولا على الإحاطة بأسرار الغيوب التي تلفه من كل جانب ، ومنها غيب عقله هو وروحه ، بل غيب وظائف جسمه والأسباب الكامنة وراء هذه الوظائف ، والتي تدفعها للعمل هكذا ، وبهذا الانتظام ، وفي هذا الاتجاه .**

**ومن ثم يحتاج هذا « الإنسان » إلى هدى الله في كل ما يختص بكينونته وحياته من عقيدة وخلق ، وموازين وقيم ، وأنظمة وأوضاع ، وشرائع وقوانين تحكم هذه الكينونة وتنظم لها واقع الحياة . .**

**وكلما فاء هذا « الإنسان » إلى هدى الله اهتدى . لأن هدى الله هو الهدى . وكلما بعد كلية عنه ، أو انحرف بعض الانحراف واستبدل به شيئاً من عنده ضل . لأن ما ليس من هدى الله فهو ضلال . . إذ ليس هنالك نوع ثالث { فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ } .**

**ولقد ذاقت البشرية من ويلات هذا الضلال - وما تزال كلها تذوق - ما هو « حتمي » في تاريخ البشرية حين تنحرف عن هدى الله . . فهذه هي « الحتمية التاريخية » الوحيدة المستيقنة لأنها من أمر الله ، ومن خبر الله ، لا تلك الحتميات المدعاة! والذي يريد أن يتملى شقاء البشرية في انحرافها عن هدى الله ، لا يحتاج أن ينقب ، فهو حوله في كل أرض تراه الأعين وتلمسه الأيدي ، ويصرخ منه العقلاء في كل مكان .**

**ومن ثم يستطرد السياق في الآية ليقرر ضرورة الاستسلام لله وحده ، وعبادته وحده ، ومخافته وتقواه :**

**{ وأمرنا لنسلم لرب العالمين ، وأن أقيموا الصلاة واتقوه } . .**

**قل يا محمد وأعلن أن هدى الله هو الهدى؛ وأننا - من ثم - أمرنا أن نسلم لرب العالمين . فهو وحده الذي يستسلم له العالمون . فالعوالم كلها مستسلمة له ، فماذا الذي يجعل الإنسان وحده - من بين العالمين - يشذ عن الاستسلام لهذه الربوبية الشاملة التي تستسلم لها العوالم في السماوات والأرضين؟**

**إن ذكر الربوبية للعالمين هنا له موضعه . . إنه يقرر الحقيقة التي لا مناص من الاعتراف بها وهي استسلام الوجود كله ، وما فيه من عوالم مشهودة ومغيبة ، للنواميس التي وضعها الله لها؛ وهي لا تملك الخروج عليها ، والإنسان - من ناحية تركيبه العضوي - يستسلم كذلك لهذه النواميس كرهاً ، ولا يملك الخروج عليها . . فلا يبقى إلا أن يستسلم في الجانب الذي ترك له الخيار فيه ليبتلى فيه ، وهو جانب الاختيار . . اختيار الهدى أو الضلال . . ولو استسلم فيه استسلام كيانه العضوي ،لاستقام أمره ،وتناسق تكوينه وسلوكه ،وجسمه وروحه ، ودنياه وآخرته . .**

**وفي إعلان الرسول - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين معه ، أنهم أمروا بالاستسلام فاستسلموا ، إيحاء مؤثر لمن يفتح الله قلبه للتلقي والاستجابة على مدى الزمان .(1)**

**\*** **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ**

**قال تعالى : {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ }﴿١٨٥ البقرة﴾**

**=====================================**

**(1)الأنترنت ـ موقع الموسوعة الشاملة ـ في ظلال القرآن**

**تأويل ( هدى) حين يراد به كتاب الله يتبين أنه جامع لعدة أسماء ـ وذلك هو البصيرة والضياء والنور والبينة وشفاء لما في الصدور والميزان والفرقان والقيم والصراط المستقيم والروح والأمر والكلمة.**

**واعلم أن أصل الهدى والتقوى مودع في الفطرة، وأحدهما ينتج الأخر، فهما مستمران ويزيدان. والتقوى الفطرية تابعة الهدى الفطرى، ثم بعد استعمال النظر وسماع الذكر يجيء الهدى بمدد التقوى الفطرية. فمن بقي على سلامة الفطرة ولم يفسدها بالسيآت، فهو إذا نظر في آيات الله أو سمع دعوة النبي انبعثت فيه التقوى الكامنة كانبعاث سائر القوى الكامنة عند بواعثها. وقد جاء في القرآن كثيرا أن الإهتداء به مبنى على استعداد له، كما قال تعالى : ( إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ) فنظر في آيات الفطرة فتذكر كما هو حال الطبقة العليا كالأنبياء، وبعد ذلك من هم السابقون إلى دعوتهم كما ذكرهم بعد ذلك بقوله : ( أو ألقى السمع وهو شهيد) وأيضا : ( الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب)**

**وجملة الكلام أن للتقوى مراتب : فبعضها شرط للإهتداء بالقرآن، وبعضها نتيجة له، ثم هذه سبب لمزيد الهدى، كما قال تعالى : ( و الذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ) أي آتاهم مزيد التقوى، فإن أصل التقوى لابد من تقدمه على الإهتداء. فالهدى والتقوى يتعاقبان، وكلما زادت التقوى زاد الهدى ومن كان أشدهم تقاة كان أسبقهم وأشدهم اهتداء بالذكر (1)**

**===================================**

**(1)الأنترنت ـ موقع ملتقى أهل الحديث ـ كتبه / محمد أمين المشرفي الوهراني**

**وقال الشنقيطي : قوله تعالى ( هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) صَرَّحَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ (هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) ، وَيُفْهَمُ مِنْ مَفْهُومِ الْآيَةِ - أَعْنِي مَفْهُومَ الْمُخَالَفَةِ الْمَعْرُوفِ بِدَلِيلِ الْخِطَابِ - أَنَّ غَيْرَ الْمُتَّقِينَ لَيْسَ هَذَا الْقُرْآنُ هُدًى لَهُمْ، وَصَرَّحَ بِهَذَا الْمَفْهُومِ فِي آيَاتٍ أُخَرَ كَقَوْلِهِ: (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) [41 \ 44] وَقَوْلِهِ: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) وَقَوْلِهِ: (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ) [9 \ 124، 125] وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا) الْآيَتَيْنِ [5 \ 64، 68] .**

**وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْهُدَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْهُدَى الْخَاصُّ؛ الَّذِي هُوَ التَّفَضُّلُ بِالتَّوْفِيقِ إِلَى دِينِ الْحَقِّ، لَا الْهُدَى الْعَامُّ؛ الَّذِي هُوَ إِيضَاحُ الْحَقِّ.(1)**

**وقال السعدي في تفسيره : فلما اشتمل على اليقين وكانت الهداية لا تحصل إلا باليقين قال: {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} والهدى: ما تحصل به الهداية من الضلالة والشبه، وما به الهداية إلى سلوك الطرق النافعة، وقال {هُدًى} وحذف المعمول، فلم يقل هدى للمصلحة الفلانية، ولا للشيء الفلاني، لإرادة العموم، وأنه هدى لجميع مصالح الدارين، فهو مرشد للعباد في المسائل الأصولية والفروعية، ومبين للحق من الباطل، والصحيح من الضعيف، ومبين لهم كيف يسلكون الطرق النافعة لهم، في دنياهم وأخراهم.**

**=======================================**

**(1) أضواء البيان**

**وقال في موضع آخر: {هُدًى لِلنَّاسِ} فعمم، وفي هذا الموضع وغيره {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} لأنه في نفسه هدى لجميع الخلق. فالأشقياء لم يرفعوا به رأسا، ولم يقبلوا هدى الله، فقامت عليهم به الحجة، ولم ينتفعوا به لشقائهم، وأما المتقون الذين أتوا بالسبب الأكبر،لحصول الهداية، وهو التقوى التي حقيقتها: اتخاذ ما يقي سخط الله وعذابه، بامتثال أوامره، واجتناب النواهي، فاهتدوا به، وانتفعوا غاية الانتفاع. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا} فالمتقون هم المنتفعون بالآيات القرآنية، والآيات الكونية.**

**ولأن الهداية نوعان: هداية البيان، وهداية التوفيق. فالمتقون حصلت لهم الهدايتان، وغيرهم لم تحصل لهم هداية التوفيق. وهداية البيان بدون توفيق للعمل بها، ليست هداية حقيقية [تامة] .(1)**

**وقال القاسمي : هُدىً لِلْمُتَّقِينَ أي: هاد لهم ودالّ على الدين القويم المفضي إلى سعادتي الدارين.**

**قال الناصر في الانتصاف: الهدى يطلق في القرآن على معنيين (أحدهما) الإرشاد وإيضاح سبيل الحق. ومنه قوله تعالى: وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى [فصلت: 17] . وعلى هذا يكون الهدى للضالّ باعتبار أنه رشد إلى الحق، سواء حصل له الاهتداء أو لا. و (الآخر) خلق الله تعالى الاهتداء في قلب العبد، ومنه أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ [الأنعام: 90] . فإذا ثبت وروده على المعنيين فهو في هذه الآية يحتمل أن يراد به المعنيان جميعا.**

**==============================**

**(1) الأنترنت ـ تفسير السعدي**

**وعلى الأول، فتخصيص الهدى بالمتقين للتنويه بمدحهم حتى يتبيّن أنهم هم الذين اهتدوا وانتفعوا به، كما قال تعالى: {إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها} [النازعات: 45] . وقال { إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ} [يس: 11] . وقد كان، صلى الله عليه وآله وسلّم، منذرا لكل الناس، فذكر هؤلاء لأجل أنهم هم الذين انتفعوا بإنذاره. وهذه الآية نظير آية: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفاءٌ، وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى، أُولئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ } [فصلت: 44] ، {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَساراً }[الإسراء: 82] .** **وكقوله تعالى: {يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ } [يونس: 57] . إلى غير ذلك، مما دلّ على أن النفع به لا يناله إلا الإبرار. (1)**

**إن أهم وصفٍ للقرآن، وأكثره ورودًا في آياته، كونه هدىً يهدي البشرية أفرادًا ودولاً وأممًا لما يصلحها في كل شؤونها، ذلكم الوصف الرباني الذي قُرن بتاريخ نزول القرآن على النبي -صلى الله عليه وسلم-: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنْ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) [البقرة:185]، وهو أول وصفٍ يقرع الأسماع عند الابتداء في قراءته؛ ففي مطلع سورة البقرة: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) [البقرة:2].**

**وهداية القرآن جامعةٌ للمصالح العاجلة والآجلة، ومحققةٌ لمنافع الدنيا والآخرة: فأما ما يتعلق بالآخرة فالقرآن عرّف العباد بربهم -سبحانه وتعالى-، ودلهم عليه، وبيّن لهم أفعاله وأسماءه وأوصافه، وكشف لهم ما يحتاجون إلى العلم به**

**===================================**

**(1) محاسن التاويل للقاسمي**

**من الغيب الذي يدفعهم للإيمان والعمل الصالح، وفصّل لهم بداية خلقهم ونهايته، وأعلمهم بمصيرهم بعد موتهم، وأوضح لهم طريق السعادة ليسلكوه، وسبل الشقاء ليجتنبوها، وما ترك شيئًا من دينهم إلا هداهم إليه: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [المائدة:15-16].**

**وأما ما يتعلق بالدنيا ومعاملة الناس بعضهم لبعضٍ؛ فقد هدى القرآن فيها إلى أحسن السبل وأيسرها وأنفعها، في السياسة والاقتصاد والأخلاق والمطاعم والمشارب واللباس والعلاقات الأسرية والاجتماعية والدولية، في أحكامٍ تفصيليةٍ لبعضها، وقواعد عامةٍ تنتظم جميعها، فلا يقع المهتدي بالقرآن في تخبطات البشر، ولا يجرّ إلى أهوائهم: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) [الإسراء:9]، وقد جيء بصيغة التفضيل (أَقْوَمُ) لتدل على أنه لا يمكن أن يساوى مع غيره أبدًا، وذكرت الصفة (أَقْوَمُ) ولم يذكر موصوفٌ لإثبات عموم الهداية بالقرآن للتي هي أقوم في كل شيءٍ.**

**لقد تكرر وصف القرآن بأنه هدىً في آياتٍ كثيرةٍ: (هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) [البقرة:2]، (هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) [النمل:2] (هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ) [لقمان:3]، (هُدًى وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ) [غافر:54]، (وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) [النحل:102]، (هَذَا هُدًى) [الجاثيةٌ:11]... ومثلها آياتٌ كثيرةٌ، لكنّ الملاحظ فيها جميعًا أنّ وصف القرآن بالهداية لم يحدّد في مجالٍ معينٍ ولا زمانٍ معينٍ، ولم يذكر له معمولٌ، وإنما كان بهذا الإطلاق والعموم؛ ليدل على أنه هدىً في كل شيءٍ، وأن من اهتدى بالقرآن في أي مجالٍ من مجالات الدنيا والآخرة فإنه يُهدى للأصوب والأقوم والأحسن.**

**وأكثر ما جاء وصف القرآن بالهداية خُص به المؤمنون أو المتقون أو المحسنون؛ لأنهم قبلوا هداه، وعملوا بمقتضاه، وإلا فالأصل أن القرآن هدىً للناس جميعًا، لكنّ الكفار والمنافقين لمّا لم يرفعوا به رأسًا، واستبدلوا به غيره في الاهتداء لم ينتفعوا باطلاعهم عليه، ولا بقراءتهم لآياته: (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) [فصلت:44]، وفي آيةٍ أخرى ذكر الله تعالى جملةً من أوصاف القرآن، وتأثيره في القلوب، ثم قال سبحانه: (ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) [الزمر:23].**

**لقد هدى الله تعالى بالقرآن بشرًا كثيرًا في القديم والحديث، ولا زلنا نسمع كل يومٍ قصص المهتدين بالقرآن ممن سمعوه، أو وقع في أيديهم فقرؤوه، ومنهم من قصد قراءته لنقده والطعن فيه، وصرف الناس عنه، فكان من المهتدين به. وللمستشرقين والمثقفين الغربيين أعاجيب في ذلك.**

**وينبغي لنا -نحن المسلمين- أن نقف طويلاً طويلاً مع قوله تعالى: (إِنَّ هَـاذَا الْقُرْءانَ يِهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ) [الإسراء:9]؛ فإن في فهم هذه الآية الكريمة وتدبرها جوابًا لكل التساؤلات المطروحة في هذه الأيام عن أسباب السعادة وأسباب الشقاء وأسباب الكوارث والويلات المتلاحقة على المسلمين، وأسباب تقلص الفضائل وفشو الرذائل وظهور الضغائن والأحقاد والتمزق في الأواصر وانقطاع الصلات إلى غير ذلك من التساؤلات، فإن السبب العظيم لحصول كل خير منشود، وتجنب كل شر مخوف، هو الإيمان والعمل الصالح، ومن ذلك اتباع كتاب الله تعالى اتباعًا تامًّا صحيحًا، فما اشتكى المؤمنون مُرّ الشكوى ولا اشتد تألمهم وتوجعهم وعظمت أحزانهم وغمومهم ومصائبهم إلا لأن كتاب الله مهجور غير متبوع إلا ممن رحم الله من عباده، ولو اتبع كتاب الله حق الاتباع لتبدل الحال إلى أحسن الأحوال، فإن الله -عز وجل- تكفّل بذلك،**

**وهذه الآية الكريمة أجمل الله تعالى فيها جميع ما في القرآن العظيم من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبع تفصيلها على وجه الكمال لأتى على جميع القرآن العظيم لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خير الدنيا والآخرة، هذا القرآن العظيم الذي يهدي للتي هي أقوم والذي هُجر وابتُعد عنه ابتعادًا عظيمًا، أمرنا ربنا -تبارك وتعالى- بأن نتبعه وأن نلتزمه، فإن في اتباعه خير الدنيا والآخرة. (1)**

**\*وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ**

**قال ابن كثير : قال تعالى : {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ }﴿١٤٣ البقرة﴾**

**يقول تعالى إنما شرعنا لك يا محمد التوجه أولا إلى بيت المقدس ثم صرفناك عنه إلى الكعبة ليظهر حال من يتبعك ويطيعك ويستقبل معك حيثما توجهت ممن ينقلب على عقبيه أي مرتدا عن دينه وإن كانت لكبيرة أي هذه الفعلة وهو صرف التوجه عن بيت المقدس إلى الكعبة أي وإن كان هذا الأمر عظيما في النفوس إلا على الذين هدى الله قلوبهم وأيقنوا بتصديق الرسول وأن كل ما جاء به فهو الحق الذي لا مرية فيه**

**=======================================**

**(1)الأنترنت ـ موقع ملتقى الخطباء**

**وأن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فله أن يكلف عباده بما شاء وينسخ ما يشاء وله الحكمة التامة والحجة البالغة في جميع ذلك بخلاف الذين في قلوبهم مرض فإنه كلما حدث أمر أحدث لهم شكا كما يحصل للذين آمنوا إيقان وتصديق كما قال الله تعالى " وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم " وقال تعالى " قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى " وقال تعالى " وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا " ولهذا كان من ثبت على تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه في ذلك وتوجه حيث أمره الله من غير شك ولا ريب من سادات الصحابة وقد ذهب بعضهم إلى أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار هم الذين صلوا القبلتين وقال البخاري في تفسيره هذه الآية : حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : بينا الناس يصلون الصبح في مسجد قباء إذ جاء رجل فقال : قد أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها فتوجهوا إلى الكعبة وقد رواه مسلم من وجه آخر عن ابن عمر ورواه الترمذي من حديث سفيان الثوري وعنده أنهم كانوا ركوعا فاستداروا كما هم إلى الكعبة وهم ركوع وكذا رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس مثله وهذا يدل على كمال طاعتهم لله ولرسوله وانقيادهم لأوامر الله عز وجل رضي الله عنهم أجمعين . (1)**

**====================================**

**(1)** **تفسير ابن كثير ـ سورة البقرة ـ الآية 143**

**\*مفهوم القبلة ومكانتها في الإسلام**

**القبلة اسم للحالة التي عليها المقابل للشيء، ويقصد بها شرعا: ما يتجه إليه المسلم في صلاته، وهو بالإجماع الكعبة المشرفة، يقول الله –عز وجل-:(قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)(البقرة:144).**

**وقد عظم الله أمر هذه القبلة، وجعل لها شأنا عظيما في الإسلام؛ ومما يدلنا على ذلك الأمور التالية:**

**1- أن استقبالها من شروط صحة الصلاة، يقول الله –تعالى-:( فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)(البقرة:144).**

**2- سيد المجالس ما كان بمحاذاة القبلة، يقول –صلى الله عليه وسلم- كما في المعجم الكبير للطبراني: ( إنّ لكلّ شيءٍ سيدًا، وإنّ سيد المجالس قبالة القبلة).**

**3- شرع الله عبادة الطواف حولها، يقول –سبحانه-:(وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ)(الحج:29).**

**4- أنها قبلة المسلمين في قبورهم –أيضا-، يقول عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- في سرد كبائر الذنوب: والإلحاد في البيت الحرام قبلتكم أحياءً وأمواتًا.**

**5- خصها الله –تعالى- بإضافتها إلى نفسه الشريفة، قال –تعالى-:(وَطَهِّرْ بَيتِيَ لِلطَّائِفِينَ)(الحج:26).**

**6- عصمة دم مستقبل القبلة، يقول –صلى الله عليه وسلم- كما في صحيح البخاري:( مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا؛ فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلاَ تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ).**

**7- إضافتها إلى المسلمين أمة محمد –صلى الله عليه وسلم-، وهي خير أمة أخرجت للناس، ففي الحديث السابق(وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا).**

**8- النهي عن استقبال القبلة واستدبارها حال قضاء الحاجة، يقول –صلى الله عليه وسلم- كما في صحيح البخاري: ( إِذَا أَتَيْتُمُ الْغَائِطَ فَلاَ تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ ، وَلاَ تَسْتَدْبِرُوهَا وَلَكِنْ شَرِّقُوا ، أَوْ غَرِّبُوا).**

**9- النهي عن التفل تجاه القبلة، يقول –صلى الله عليه وسلم- كما في سنن أبي داود:( مَنْ تَفَلَ تُجَاهَ الْقِبْلَةِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَفْلُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ).**

**10- جعلها الله هداية للمؤمنين، يقول الله –تعالى-:(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ) (آل عمران:96).**

**11- جعلها الله بقاء للدين، نقل عن الحسن أنه تلا هذه الآية(جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ) (المائدة:97)، ثم قال: لا يزال الناس على دين ما حجوا البيت واستقبلوا القبلة.**

**12- جعلها الله مظهرا لوحدة المسلمين واجتماعهم، ويتبين ذلك جليا حينما يتجه المسلمون إليها من كل أنحاء العالم وقت أداء صلواتهم المفروضة.**

**فتنة تحويل القبلة وثبات المؤمنين وانكشاف حقيقة المنافقين**

**إن رسولنا –عليه أتم الصلاة والتسليم- صلى إلى جهة بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا بعد هجرته إلى المدينة، ولكن كان يهوى ويتمنى أن تكون قبلته الكعبة؛ وذلك لسببين:**

**1-مخالفة اليهود، وكراهة موافقتهم؛ لأنهم كانوا يقولون له مستهزئين:تتبع قبلتنا، وتخالفنا في ديننا.**

**2-أنها كانت قبلة أبيه إبراهيم -عليه السلام-.**

**وبعد الفترة المذكورة حقق الله أمنيته، وأنزل آية تحويل القبلة؛ فقال -جل وعلا-(قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ)(البقرة:144)، فكان أول صلاة صلاها رسولنا -صلى الله عليه وسلم- نحو البيت صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قِبَل مكة؛ فداروا -وهم في صلاتهم- إلى جهة البيت، وقد انتشر الخبر في آفاق المدينة، فلما سمعت اليهود بذلك ثارت غيرتهم، واشتعل حقدهم الدفين؛ فباتوا يشككون في النبي -صلى الله عليه وسلم-، ويلقنون المؤمنين شبهات في صحة نبوته ودينه الذي جاء به؛ ومما قالوه:( لو كان نبيًا ما ترك قبلة الأنبياء قبله)، ومن ذلك –أيضا-:(لو كان نبيًا ما كان يفعل اليوم شيئًا وغدا خلافه)؛ لكن الله -سبحانه وتعالى- تصدى لهذه الفتنة، وأجاب عن شبهات اليهود والمنافقين بجواب شاف أغلق به الباب الذي كان لهم مشرعا للتشكيك في الرسول -صلى الله عليه وسلم- ودين الله، فقال –تعالى-(سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ\* وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ...) إلى آخر الآيات(البقرة:142-143). (1)**

**\*قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هو الهدى**

**ﭧ ﭨ ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ الأنعام: ٧١**

**قال ابن كثير : قوله تعالى : ( قل إن هدى الله هو الهدى ) أي : قل يا محمد : إن هدى الله الذي بعثني به هو الهدى ، يعني : هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل .**

**قال قتادة في قوله : ( قل إن هدى الله هو الهدى ) قال : خصومة علمها الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، يخاصمون بها أهل الضلالة . قال قتادة : وبلغنا أن**

**======================================**

**(1) الأنترنت ـ موقع قبلة للعالمين ـ تعظيم البلد الحرام**

**رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : " لا تزال طائفة من أمتي يقتتلون على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله " .**

**قلت : هذا الحديث مخرج في الصحيح عن عبد الله بن عمرو . (1)**

**هو وحده الهدى - كما يفيد التركيب البياني للجملة - وإنه لكذلك عن يقين . .**

**وإن البشرية لتخبط في التيه ، كلما تركت هذا الهدى ، أو انحرفت عن شيء منه واستبدلت به شيئاً من تصوراتها هي ومقولاتها ، وأنظمتها وأوضاعها ، وشرائعها وقوانينها ، وقيمها وموازينها ، بغير « علم » ولا « هدى » ولا « كتاب منير » . .**

**إن « الإنسان » موهوب من الله القدرة على تعرف بعض نواميس الكون وبعض طاقاته وقواه ، للانتفاع بها في الخلافة في الأرض ، وترقية هذه الحياة . . ولكن هذا الإنسان ذاته غير موهوب من الله القدرة على استكناه الحقائق المطلقة في هذا الكون ، ولا على الإحاطة بأسرار الغيوب التي تلفه من كل جانب ، ومنها غيب عقله هو وروحه ، بل غيب وظائف جسمه والأسباب الكامنة وراء هذه الوظائف ، والتي تدفعها للعمل هكذا ، وبهذا الانتظام ، وفي هذا الاتجاه .**

**ومن ثم يحتاج هذا « الإنسان » إلى هدى الله في كل ما يختص بكينونته وحياته من عقيدة وخلق ، وموازين وقيم ، وأنظمة وأوضاع ، وشرائع وقوانين تحكم هذه الكينونة وتنظم لها واقع الحياة . .** **وكلما فاء هذا « الإنسان » إلى هدى الله اهتدى .**

**==================================**

**(1)الأنترنت ـ موقع إسلام ويب ـ المكتبة الإسلامية ـ تفسير ابن كثير**

**لأن هدى الله هو الهدى . وكلما بعد كلية عنه ، أو انحرف بعض الانحراف واستبدل به شيئاً من عنده ضل . لأن ما ليس من هدى الله فهو ضلال . . إذ ليس هنالك نوع ثالث { فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ } .**

**ولقد ذاقت البشرية من ويلات هذا الضلال - وما تزال كلها تذوق - ما هو « حتمي » في تاريخ البشرية حين تنحرف عن هدى الله فهذه هي « الحتمية التاريخية » الوحيدة المستيقنة لأنها من أمر الله ، ومن خبر الله ، لا تلك الحتميات المدعاة! والذي يريد أن يتملى شقاء البشرية في انحرافها عن هدى الله ، لا يحتاج أن ينقب ، فهو حوله في كل أرض تراه الأعين وتلمسه الأيدي ، ويصرخ منه العقلاء في كل مكان .(1)**

**وجملة {قل إن هدى الله هو الهدى} مستأنفة استئناف تكرير لما أمر أن يقوله للمشركين حين يدعون إلى الرجوع إلى ما كانوا عليه في الجاهلية ، وقد روي أنهم قالوا للنبيء صلى الله عليه وسلم اعبد آلهتنا زمنا ونعبد إلهك زمنا . وكانوا في خلال ذلك يزعمون أن دينهم هدى ، فلذلك خوطبوا بصيغة القصر . وهي إن هدى الله هو الهدى فجيء بتعريف الجزأين ، وضمير الفصل ، وحرف التوكيد ، فاجتمع في الجملة أربعة مؤكدات ، لأن القصر بمنزلة مؤكدين إذ ليس القصر إلا تأكيدا على تأكيد ، وضمير الفصل تأكيد ، و ( إن ) تأكيد ، فكانت مقتضى حال المشركين المنكرين أن الإسلام هدى .**

**=======================================**

**(1) الأنترنت ـ موقع شبكة الدعوة ـ في ظلاال القرآن**

**وتعريف المسند إليه بالإضافة للدلالة على الهدى الوارد من عند الله تعالى ، وهو الدين الموصى به ، وهو هنا الإسلام ، بقرينة قوله بعد إذ هدانا الله . وقد وصف الإسلام بأنه هدى الله في قوله تعالى {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى } في سورة البقرة ، أي القرآن هو الهدى لا كتبهم**

**وتعريف المسند بلام الجنس للدلالة على قصر جنس الهدى على دين الإسلام ، كما هو الغالب في تعريف المسند بلام الجنس ، وهو قصر إضافي لأن السياق لرد دعوة المشركين إياهم الرجوع إلى دينهم المتضمنة اعتقادهم أنه هدى ، فالقصر للقلب إذ ليسوا على شيء من الهدى ، فلا يكون قصر الهدى على هدى القرآن بمعنى الهدى الكامل ، بخلاف ما في سورة البقرة . (1)**

**\*أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**

**ﭧ ﭨ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭘﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭼ البقرة: ١ – ٥**

**=====================================**

**(1) التحرير والتنويرمحمد الطاهر ابن عاشور» سورة الأنعام**

**قال ابن كثير : يقول الله تعالى : ( أولئك ) أي : المتصفون بما تقدم : من الإيمان بالغيب ، وإقام الصلاة ، والإنفاق من الذي رزقهم الله ، والإيمان بما أنزل الله إلى الرسول ومن قبله من الرسل ، والإيقان بالدار الآخرة ، وهو يستلزم الاستعداد لها من العمل بالصالحات وترك المحرمات .**

**( على هدى ) أي : نور وبيان وبصيرة من الله تعالى . ( وأولئك هم المفلحون ) أي : في الدنيا والآخرة .**

**وعن ابن عباس : ( أولئك على هدى من ربهم ) أي : على نور من ربهم ، واستقامة على ما جاءهم ، ( وأولئك هم المفلحون ) أي : الذين أدركوا ما طلبوا ، ونجوا من شر ما منه هربوا .**

**وقال ابن جرير : معنى ذلك : أنهم على نور من ربهم ، وبرهان واستقامة وسداد ، بتسديد الله إياهم ، وتوفيقه لهم وتأويل قوله : ( وأولئك هم المفلحون ) أي المنجحون المدركون ما طلبوا عند الله بأعمالهم وإيمانهم بالله وكتبه ورسله ، من الفوز بالثواب ، والخلود في الجنات ، والنجاة مما أعد الله لأعدائه من العقاب . (1)**

**\*قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزنون**

**==================================**

**(1) تفسير ابن كثير ـ البقرة: ١ – ٥**

**قال السعدي : كرر الإهباط, ليرتب عليه ما ذكر وهو قوله " فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى " أي: أي وقت وزمان جاءكم مني, يا معشر الثقلين, هدى, أي: رسول وكتاب يهديكم لما يقربكم مني, ويدنيكم مني; ويدنيكم من رضائي.**

**فمن تبع هداي منكم, بأن آمن برسلي وكتبي, واهتدى بهم, وذلك بتصديق جميع أخبار الرسل والكتب, والامتثال للأمر والاجتناب للنهي.**

**" فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " . وفي الآية الأخرى " فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى " .**

**فرتب على اتباع هداه أربعة أشياء: نفي الخوف, والحزن, والفرق بينهما, أن المكروه إن كان قد مضى, أحدث الحزن, وإن كان منتظرا, أحدث الخوف. فنفاهما عمن اتبع الهدى وإذا انتفيا, ثبت ضدهما, وهو الهدى والسعادة.**

**فمن اتبع هداه, حصل له الأمن والسعادة الدنيوية والأخروية والهدى. وانتفى عنه كل مكروه, من الخوف, والحزن, والضلال, والشقاء. فحصل له المرغوب, واندفع عند المرهوب. وهذا عكس من لم يتبع هداه, فكفر به, وكذب آياته. (1)**

**وقال القرطبي : قوله تعالى: { فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً } اختلف في معنى قوله "هدى" فقيل: كتاب الله قاله السدي وقيل التوفيق للهداية، وقالت فرقة: الهدى الرسل، وهي إلى آدم من الملائكة وإلى بنيه من البشر كما جاء في حديث أبي ذر وخرجه الآجري**

**=====================================**

**(1)الأنترنت ـ موقع تفسير السعدي ـ سورة البقرة الآيات 38-39**

**وفي قوله "مني" إشارة إلى أن أفعال العباد خلق لله تعالى خلافا للقدرية وغيرهم كما تقدم. وقرأ الجحدري "هديّ" وهو لغة هذيل يقولون: هدي وعصي ومحيي (1)**

**إن أبرز إيحاءات قصة آدم - كما وردت في هذا الموضع - هو القيمة الكبرى التي يعطيها التصور الإسلامي للإنسان ولدوره في الأرض , ولمكانه في نظام الوجود , وللقيم التي يوزن بها . ثم لحقيقة ارتباطه بعهد الله , وحقيقة هذا العهد الذي قامت خلافته على أساسه . .**

**وتتبدى تلك القيمة الكبرى التي يعطيها التصور الإسلامي للإنسان في الإعلان العلوي الجليل في الملأ الأعلى الكريم , أنه مخلوق ليكون خليفة في الأرض ; كما تتبدى في أمر الملائكة بالسجود له . وفي طرد إبليس الذي استكبر وأبى , وفي رعاية الله له أولا وأخيرا . . ومن هذه النظرة للإنسان تنبثق جملة اعتبارات ذات قيمة كبيرة في عالم التصور وفي عالم الواقع على السواء .**

**وأول اعتبار من هذه الاعتبارات هو أن الإنسان سيد هذه الأرض , ومن أجله خلق كل شيء فيها - كما تقدم ذلك نصا - فهو إذن أعز وأكرم وأغلى من كل شيء مادي , ومن كل قيمة مادية في هذه الأرض جميعا . ولا يجوز إذن أن يُستعبد أو يُستذل لقاء توفير قيمة مادية أو شيء مادي . . لا يجوز أن يُعتدي على أي مقوم من مقومات إنسانيته الكريمة , ولا أن تُهدر أية قيمة من قيمه لقاء تحقيق أي كسب مادي , أو إنتاج أي شيء مادي , أو تكثير أي عنصر مادي . .**

**===================================**

**(1)الأنترنت ـالجامع لأحكام القرآن – للقرطبي ـ سورة البقرة**

**فهذه الماديات كلها مخلوقة - أو مصنوعة - من أجله . من أجل تحقيق إنسانيته . من أجل تقريروجوده الإنساني . فلا يجوز إذن أن يكون ثمنها هو سلب قيمةٌ من قيمهِ الإنسانية , أو نقص مقوم من مقومات كرامته .**

**والاعتبار الثاني هو أن دور الإنسان في الأرض هو الدور الأول . فهو الذي يغير ويبدل في أشكالها وفي ارتباطاتها ; وهو الذي يقود اتجاهاتها ورحلاتها . وليست وسائل الإنتاج ولا توزيع الإنتاج , هي التي تقود الإنسان وراءها ذليلا سلبيا كما تصوره المذاهب المادية التي تحقر من دور الإنسان وتصغر , بقدر ما تعظم في دور الآلة وتكبر !**

**إن النظرة القرآنية تجعل هذا الإنسان بخلافته في الأرض , عاملا مهما في نظام الكون , ملحوظا في هذا النظام . فخلافته في الأرض تتعلق بارتباطات شتى مع السماوات ومع الرياح ومع الأمطار , ومع الشموس والكواكب . . وكلها ملحوظ في تصميمها وهندستها إمكان قيام الحياة على الأرض , وإمكان قيام هذا الإنسان بالخلافة . . فأين هذا المكان الملحوظ من ذلك الدور الذليل الصغير الذي تخصصه له المذاهب المادية , ولا تسمح له أن يتعداه ? !**

**وما من شك أن كلا من نظرة الإسلام هذه ونظرة المادية للإنسان تؤثر في طبيعة النظام الذي تقيمه هذه وتلك للإنسان ; وطبيعة احترام المقومات الإنسانية أو إهدارها ; وطبيعة تكريم هذا الإنسان أو تحقيره . . وليس ما نراه في العالم المادي من إهدار كل حريات الإنسان وحرماته ومقوماته في سبيل توفير الإنتاج المادي وتكثيره , إلا أثرا من آثار تلك النظرة إلى حقيقة الإنسان , وحقيقة دوره في هذه الأرض !**

**كذلك ينشأ عن نظرة الإسلام الرفيعة إلى حقيقة الإنسان ووظيفته إعلاء القيم الأدبية في وزنه وتقديره , وإعلاء قيمة الفضائل الخلقية , وتكبير قيم الإيمان والصلاح والإخلاص في حياته . فهذه هي القيم التي يقوم عليها عهد استخلافه: (فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . . .)وهذه القيم أعلى وأكرم من جميع القيم المادية - هذا مع أن من مفهوم الخلافة تحقيق هذه القيم المادية , ولكن بحيث لاتصبح هي الأصل ولا تطغى على تلك القيم العليا - ولهذا وزنه في توجيه القلب البشري إلى الطهارة والارتفاع والنظافة في حياته . بخلاف ما توحيه المذاهب المادية من استهزاء بكل القيم الروحية , وإهدار لكل القيم الأدبية , في سبيل الاهتمام المجرد بالإنتاج والسلع ومطالب البطون كالحيوان !**

**وفي التصور الإسلامي اعلاء من شأن الإرادة في الإنسان فهي مناط العهد مع الله , وهي مناط التكليف والجزاء . . إنه يملك الارتفاع على مقام الملائكة بحفظ عهده مع ربه عن طريق تحكيم إرادته , وعدم الخضوع لشهواته , والاستعلاء على الغواية التي توجه إليه . بينما يملك أن يشقي نفسه ويهبط من عليائه , بتغليب الشهوة على الإرادة , والغواية على الهداية , ونسيان العهد الذي يرفعه إلى مولاه . وفي هذا مظهر من مظاهر التكريم لا شك فيه , يضاف إلى عناصر التكريم الأخرى . كما أن فيه تذكيرا دائما بمفرق الطريق بين السعادة والشقاوة , والرفعة والهبوط , ومقام الإنسان المريد ودرك الحيوان المسوق !**

**وفي أحداث المعركة التي تصورها القصة بين الإنسان والشيطان مذكر دائم بطبيعة المعركة . إنها بين عهد الله وغواية الشيطان بين الإيمان والكفر . بين الحق والباطل . بين الهدى والضلال . . والإنسان هو نفسه ميدان المعركة . وهو نفسه الكاسب أو الخاسر فيها . وفي هذا إيحاء دائم له باليقظة ; وتوجيه دائم له بأنه جندي في ميدان ; وأنه هو صاحب الغنيمة أو السلب في هذا الميدان !**

**وأخيرا تجيء فكرة الإسلام عن الخطيئة والتوبة . . إن الخطيئة فردية والتوبة فردية . في تصور واضح بسيط لا تعقيد فيه ولا غموض . . ليست هنالك خطيئة مفروضة على الإنسان قبل مولده - كما تقول نظرية الكنيسة - وليس هنالك تكفير لاهوتي , كالذي تقول الكنيسة إن عيسى - عليه السلام - [ ابن الله بزعمهم ] قام به بصلبه , تخليصا لبني آدم من خطيئة آدم ! . . كلا ! خطيئة آدم كانت خطيئته الشخصية , والخلاص منها كان بالتوبة المباشرة في يسر وبساطة . وخطيئة كل ولد من أولاده خطيئة كذلك شخصية , والطريق مفتوح للتوبة في يسر وبساطة . . تصور مريح صريح . يحمل كل إنسان وزره , ويوحي إلى كل إنسان بالجهد والمحاولة وعدم اليأس والقنوط . . (إن الله تواب رحيم). .**

**هذا طرف من إيحاءات قصة آدم - في هذا الموضع - نكتفي به في ظلال القرآن . وهو وحده ثروة من الحقائق والتصورات القويمة ; وثروة من الإيحاءات والتوجيهات الكريمة ; وثروة من الأسس التي يقوم عليها تصور اجتماعي وأوضاع اجتماعية , يحكمها الخُلق والخير والفضيلة . ومن هذا الطرف نستطيع أن ندرك أهمية القصص القرآني في تركيز قواعد التصور الإسلامي ; وإيضاح القيم التي يرتكز عليها . وهي القيم التي تليق بعالم صادر عن الله , متجه إلى الله , صائر إلى الله في نهاية المطاف . . عقد الاستخلاف فيه قائم على تلقي الهدى من الله , والتقيد بمنهجه في الحياة . ومفرق الطريق فيه أن يسمع الإنسان ويطيع لما يتلقاه من الله , أو أن يسمع الإنسان ويطيع لما يمليه عليه الشيطان . وليس هناك طريق ثالث . . إما الله وإما الشيطان . إما الهدى وإما الضلال . إما الحق وإما الباطل . إما الفلاح وإما الخسران . . وهذه الحقيقة هي التي يعبر عنها القرآن كله , بوصفها الحقيقة الأولى , التي تقوم عليها سائر التصورات , وسائر الأوضاع في عالم الإنسان . .(1)**

**\*القرآن فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**

**قال تعالى : { ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ }البقرة الآية 2**

**قال ابن كثير : معنى الكلام : أن هذا الكتاب - وهو القرآن - لا شك فيه أنه نزل من عند الله ، كما قال تعالى في السجدة : { الم \* تَنزيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [السجدة : 1 ، 2]. [وقال بعضهم : هذا خبر ومعناه النهي ، أي : لا ترتابوا فيه]**

**ومن القراء من يقف على قوله : { لا رَيْبَ } ويبتدئ بقوله : { فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ } والوقف على قوله تعالى : { لا رَيْبَ فِيهِ } أولى للآية التي ذكرنا ، ولأنه يصير قوله : { هُدًى } صفة للقرآن ،وذلك أبلغ من كون : { فِيهِ هُدًى }.**

**و { هُدًى } يحتمل من حيث العربية أن يكون مرفوعًا على النعت ، ومنصوبًا على الحال.**

**وخصّت الهداية للمتَّقين. كما قال : { قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ }**

**==========================**

**(1) الأنترنت ـ الشبكة الدعوية ـ في ظلال القرآن الكريم البقرة**

**{ وَنُنزلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلا خَسَارًا } [الإسراء : 82] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على اختصاص المؤمنين بالنفع بالقرآن ؛**

**لأنه هو في نفسه هدى ، ولكن لا يناله إلا الأبرار ، كما قال : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ } [يونس : 57].**

**وقد قال السدي عن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : { هُدًى لِلْمُتَّقِينَ } يعني : نورًا للمتقين.**

**وقال الشعبي : هدى من الضلالة. وقال سعيد بن جبير : تبيان للمتَّقين. وكل ذلك صحيح.**

**وقال السدي : عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : { هُدًى لِلْمُتَّقِينَ } قال : هم المؤمنون**

**وقال محمد بن إسحاق عن ابن عباس : { لِلْمُتَّقِينَ } أي : الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ، ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به. وقال أبو رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : { لِلْمُتَّقِينَ } قال : المؤمنين الذين يتَّقون الشرك بي ، ويعملون بطاعتي. وقال سفيان الثوري ، عن رجل ، عن الحسن البصري ، قوله : { لِلْمُتَّقِينَ } قال : اتَّقوا ما حرّم الله عليهم ، وأدوا ما افترض عليهم.**

**وقال أبو بكر بن عياش : سألني الأعمش عن المتَّقين ، قال : فأجبته. فقال لي سل عنها الكلبي ، فسألته فقال : الذين يجتنبون كبائر الإثم. قال : فرجعت إلى الأعمش ، فقال : نرى أنه كذلك. ولم ينكره.**

**وقال قتادة { لِلْمُتَّقِينَ } هم الذين نعتهم الله بقوله : { الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ } الآية والتي بعدها**

**واختار ابن جرير : أن الآية تَعُمّ ذلك كله ، وهو كما قال.**

**وقد روى الترمذي وابن ماجه ، من رواية أبي عقيل عبد الله بن عقيل ، عن عبد الله بن يزيد ، عن ربيعة بن يزيد ، وعطية بن قيس ، عن عطية السعدي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يبلغ العبد أن يكون من المتَّقين حتى يدع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس . ثم قال الترمذي : حسن غريب (1)**

**قال ابن عاشور : قوله : { هدى للمتقين } الهدى اسم مصدر الهَدْي ليس له نظير في لغة العرب إلا سُرًى وتُقىً وبُكًى ولُغًى مصدر لغي في لغة قليلة . وفعله هدَى هدياً يتعدى إلى المفعول الثاني بإلى وربما تعدى إليه بنفسه على طريقة الحذف المتوسع فيما تقدم في قوله تعالى :{ اهدنا الصراط المستقيم } [ الفاتحة : 6 ] .**

**والهدى على التحقيق هو الدلالة التي من شأنها الإيصال إلى البغية وهذا هو الظاهر في معناه لأن الأصل عدم الترادف فلا يكون هُدى مرادفاً لدل ولأن المفهوم من الهُدى الدلالة الكاملة وهذا موافق للمعنى المنقول إليه الهدى في العرف الشرعي .**

**====================================**

1. **الأنترنت ـ موقع تفسير ابن كثير/سورة البقرة**

**وهو أسعد بقواعد الأشعري لأن التوفيق الذي هو الإيصال عند الأشعري مِنْ خلق الله تعالى في قلب الموفَّق فيناسب تفسير الهداية بما يصلح له ليكون الذي يهدي يوصل الهداية الشرعية . فالقرآن هدى ووصفه بالمصدر للمبالغة أي هو هاد**

**والهدى الشرعي هو الإرشاد إلى ما فيه صلاح العاجل الذي لا ينقض صلاح الآجل . وأثر هذا الهدى هو الاهتداء فالمتقون يهتدون بهديه والمعاندون لا يهتدون لأنهم لا يتدبرون ، وهذا معنى لا يختلف فيه وإنما اختلف المتكلمون في منشأ حصول الاهتداء وهي مسألة لا حاجة إليها في فهم الآية . ومحل ( هدى ) إن كان هو صدر جملة أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف هو ضمير ( الكتاب ) فيكون المعنى الإخبار عن الكتاب بأنه الهدى وفيه من المبالغة في حصول الهداية به ما يقتضيه الإخبار بالمصدر للإشارة إلى بلوغه الغاية في إرشاد الناس حتى كانَ هو عين الهُدى تنبيهاً على رجحان هُداه على هدى ما قبله من الكتب ، وإن كان الوقف على قوله { لا ريب } وكان الظرف صدرَ الجملةِ الموالية وكان قوله { هدى } مبتدأ خبره الظرف المتقدم قبله فيكون إخباراً بأن فيه هدى فالظرفية تدل على تمكن الهدى منه فيساوي ذلك في الدلالة على التمكن الوجهَ المتقدم الذي هو الإخبار عنه بأنه عين الهدى .**

**والمتقي من اتصف بالاتقاء وهو طلب الوقاية ، والوقاية الصيانة والحفظ من المكروه فالمتقي هو الحذر المتطلب للنجاة من شيء مكروه مضر ، والمراد هنا المتقين الله ، أي الذين هم خائفون غضبه واستعدوا لطلب مرضاته واستجابة طلبه فإذا قرىء عليهم القرآن استمعوا له وتدبروا ما يدعو إليه فاهتدوا .**

**والتقوى الشرعية هي امتثال الأوامر واجتناب المنهيات من الكبائر وعدم الاسترسال على الصغائر ظاهراً وباطناً أي اتقاء ما جعل الله الاقتحام فيه موجباً غضبه وعقابه ، فالكبائر كلها متوعد فاعلها بالعقاب دون اللمم .**

**والمراد من الهُدَى ومن المتقين في الآية معناهما اللغوي فالمراد أن القرآن من شأنه الإيصال إلى المطالب الخيرية وأن المستعدين للوصول به إليها هم المتقون أي هم الذين تجردوا عن المكابرة ونزهوا أنفسهم عن حضيض التقليد للمضلين وخشوا العاقبة وصانوا أنفسهم من خطر غضب الله هذا هو الظاهر ، والمراد بالمتقين المؤمنون الذين آمنوا بالله وبمحمد وتلقوا القرآن بقوة وعزم على العمل به كما ستكشف عنهم الأوصاف الآتية في قوله تعالى :{ الذين يؤمنون بالغيب إلى قوله من قبلك }. وفي بيان كون القرآن هدى وكيفية صفة المتقي معان ثلاثة :**

**الأول : أن القرآن هدى في زمن الحال لأن الوصف بالمصدر عوض عن الوصف باسم الفاعل وزمن الحال هو الأصل في اسم الفاعل والمراد حال النطق . والمتقون هم المتقون في الحال أيضاً لأن اسم الفاعل حقيقة في الحال كما قلنا ، أي إن جميع من نزه نفسه وأعدها لقبول الكمال يهديه هذا الكتاب ، أو يزيده هدى كقوله تعالى : { والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم } [ محمد : 17 ] .**

**الثاني : أنه هدى في الماضي أي حصل به هدى أي بما نزل من الكتاب ، فيكون المراد من المتقين من كانت التقوى شعارهم أي أن الهدى ظهر أثره فيهم فاتقوا وعليه فيكون مدحاً للكتاب بمشاهدة هديه وثناء على المؤمنين الذين اهتدوا به وإطلاق المتقين على المتصفين بالتقوى فيما مضى ، وإن كان غير الغالب في الوصف باسم الفاعل إطلاق يعتمد على قرينة سياق الثناء على الكتاب .**

**الثالث : أنه هدى في المستقبل للذين سيتقون في المستقبل وتُعين عليه هنا قرينة الوصف بالمصدر في { هدى } لأن المصدر لا يدل على زمان معين .**

**حصل من وصف الكتاب بالمصدر من وفرة المعاني ما لا يحصل ، لو وُصف باسم الفاعل فقيل هادٍ للمتقين ، فهذا ثناء على القرآن وتنويه به وتخلص للثناء على المؤمنين الذين انتفعوا بهديه ، فالقرآن لم يزل ولن يزال هدى للمتقين ، فإن جميع أنواع هدايته نفعت المتقين في سائر مراتب التقوى ، وفي سائر أزمانه وأزمانهم على حسب حرصهم ومبالغ علمهم واختلاف مطالبهم ، فمن منتفع بهديه في الدين ، ومن منتفع في السياسة وتدبير أمور الأمة ، ومن منتفع به في الأخلاق والفضائل ، ومن منتفع به في التشريع والتفقه في الدين ، وكل أولئك من المتقين وانتفاعهم به على حسب مبالغ تقواهم . وقد جعل أئمة الأصول الاجتهاد في الفقه من التقوى ، فاستدلوا على وجوب الاجتهاد بقوله تعالى : { فاتقوا الله ما استطعتم } [ التغابن : 16 ] فإن قَصَّر بأحد سعيُه عن كمال الانتفاع به ، فإنما ذلك لنقص فيه لا في الهداية ، ولا يزال أهل العلم والصلاح يتسابقون في التحصيل على أوفر ما يستطيعون من الاهتداء بالقرآن . وتلتئم الجمل الأربع كمالَ الالتئمام : فإن جملة { الم } [ البقرة : 1 ] تسجيل لإعجاز القرآن وإنحاء على عامة المشركين عجزهم عن معارضته وهو مؤلف من حروف كلامهم وكفى بهذا نداء على تعنتهم .**

**وجملة : { ذلك الكتاب } تنويه بشأنه وأنه بالغ حد الكمال في أحوال الكتب ، فذلك موجه إلى الخاصة من العقلاء أن يقول لهم هذا كتاب مؤلف من حروف كلامكم ، وهو بالغ حد الكمال من بين الكتب ، فكان ذلك مما يوفر دواعيكم على اتباعه والافتخار بأنْ منحتموه فإنكم تعُدون أنفسكم أفضل الأمم ، فكيف لا تسرعون إلى متابعة كتاب نزل فيكم هو أفضل الكتب فوزان هذا وزان قوله تعالى : { أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا إلى قوله :{ ورحمة } [ الأنعام : 156 ، 157 ] ، وموَجَّه إلى أهل الكتاب بإيقاظهم إلى أنه أفضل مما أوتوه .**

**وجملةُ : { لا ريب } إن كان الوقف على قوله : { لا ريب } تعريضٌ بكل المرتابين فيه من المشركين وأهل الكتاب أي إن الارتياب في هذا الكتاب نشأ عن المكابرة ، وأن ( لا ريب ) فإنه الكتاب الكامل ، وإن كان الوقف على قوله : { فيه } كان تعريضاً بأهل الكتاب في تعلقهم بمحرف كتابيهم مع ما فيهما من مثار الريب والشك من الاضطراب الواضح الدال على أنه من صنع الناس ، قال تعالى : { أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً } [ النساء : 82 ] .(1)**

**وقال السعدي : قال " هُدًى " وحذف المعمول, فلم يقل هدى للمصلحة الفلانية, ولا للشيء الفلاني, لإرادة العموم, وأنه هدى لجميع مصالح الدارين. فهو مرشد للعباد في المسائل الأصولية والفروعية, ومبين للحق من الباطل, والصحيح من الضعيف, ومبين لهم كيف يسلكون الطرق النافعة لهم, في دنياهم وأخراهم.**

**وقال في موضع آخر " هُدًى لِلنَّاسِ " فعمم. وفي هذا الموضع وغيره " هُدًى لِلْمُتَّقِينَ " لأنه في نفسه هدى لجميع الناس. فالأشقياء لم يرفعوا به رأسا. ولم يقبلوا هدى الله, فقامت عليهم به الحجة, ولم ينتفعوا به لشقائهم.**

**=======================================**

**(1) الأنترنت ـ موقع تفسير الطاهر ابن عاشور**

**وأما المتقون الذين أتوا بالسبب الأكبر, لحصول الهداية, وهو التقوى التي حقيقتها: اتخاذ ما يقي سخط الله وعذابه, بامتثال أوامره, واجتناب نواهيه, فاهتدوا به, وانتفعوا. غاية الانتفاع. قال تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا " . فالمتقون هم المنتفعون بالآيات القرآنية, والآيات الكونية. ولأن الهداية نوعان: هداية البيان, هداية التوفيق. فالمتقون حصلت لهم الهدايتان, وغيرهم لم تحصل لهم هداية التوفيق. وهداية البيان بدون توفيق للعمل بها, ليست هداية حقيقية تامة.(1)**

**وقال البغوي : قوله تعالى : ( هدى للمتقين ) يدغم الغنة عند اللام والراء أبو جعفر وابن كثير وحمزة والكسائي ، زاد حمزة والكسائي عند الياء وزاد حمزة عند الواو والآخرون لا يدغمونها ويخفي أبو جعفر النون والتنوين عند الخاء والغين ( هدى للمتقين ) أي هو هدى أي رشد وبيان لأهل التقوى وقيل هو نصب على الحال أي هاديا تقديره لا ريب في هدايته للمتقين والهدى ما يهتدي به الإنسان للمتقين أي للمؤمنين . قال ابن عباس رضي الله عنهما المتقي من يتقي الشرك والكبائر والفواحش وهو مأخوذ من الاتقاء . وأصله الحجز بين الشيئين ومنه يقال اتقى بترسه أي جعله حاجزا بين نفسه وبين ما يقصده**

**وفي الحديث : " كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم " أي إذا اشتد الحرب جعلناه حاجزا بيننا وبين العدو فكأن المتقي يجعل امتثال أمر الله والاجتناب عما نهاه حاجزا بينه وبين العذاب قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكعب الأحبار حدثني عن التقوى ؟**

**=================================**

**(1) الأنترنت ـ موقع طريق الإسلام ـ تفسير السعدي**

**فقال هل أخذت طريقا ذا شوك قال نعم . قال فما عملت فيه قال حذرت وشمرت قال كعب : ذلك التقوى . وقال شهر بن حوشب : المتقي الذي يترك ما لا بأس به حذرا لما به بأس وقال عمر بن عبد العزيز : التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله فما رزق الله بعد ذلك فهو خير إلى خير . وقيل هو الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث : جماع التقوى في قوله تعالى " إن الله يأمر بالعدل والإحسان " ( 90 - النحل ) الآية وقال ابن عمر : التقوى أن لا ترى نفسك خيرا من أحد . وتخصيص المتقين بالذكر تشريف لهم أو لأنهم هم المتقون بالهدى (1)**

**وقال الشنقيطي : ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ "صرح في هذه الآية بأن هذا القرآن ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾، يفهم من مفهوم المخالفة المعروف بدليل الخطاب - أن غير المتقين ليس هذا القرآن هدى لهم، وصرح بهذا المفهوم في آيات أخر كقوله: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ (44) - فصلت وقوله: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: 82]. ومعلوم أن المراد بالهدى في هذه الآية الهدى الخاص؛ الذي هو التفضل بالتوفيق إلى دين الحق، لا الهدى العام؛ الذي هو إيضاح الحق. (2)**

**==================================================**

**(1)الأنترنت ـ موقع المكتبة الإسلامية ـ تفسير البغوي**

**(2) الأنترنت ـ موقع الألوكة ـ أضواء البيان للشنقيطي**

**\*حديث القرآن عن القرآن**

**إن حديث القرآن عن القرآن فيه بيان لهدايته ومقاصده ، ودعوة إلى حسن تدبره والعمل به ، وهو حق يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم . ومن حديث القرآن عن القرآن ما جاء في قوله تعالى من سورة البقرة .**

**﴿ الم \* ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [ البقرة:1،2] وفي البدء بهـذه الأحرف " الم " إعلام للمخاطبين بأن هذا القرآن الكريم منتظم من جنس ما تنظمون منه كلامكم من الحروف المعهودة للناطقين بهذه اللغة لم يخرج عنها أو يزد عليها . ومن غير المستطاع لإنسٍ أو جنٍّ أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .وفي ذلك ما فيه من توجيه القلوب إليه وهي ترى تَفَرُّدَهُ ، مع أن الحروف التي انتظم منها هى الأحرف التي يعرفها الناس وينطقون بها . ولكن رفعة شأنه وبعد مكانته لا تجعل للخلق مطمعاً في الإتيان بمثله أو بسورة من مثله**

**. ولذا جاءت الإشارة إليه بقوله ﴿ ذلك الكتاب ﴾ للدلالة على بعد المشار إليه . فإن ما في الإشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو مكانته وكونه في الغاية القاصية من الفضل والشرف .**

**وكذلك القرآن المجيد بعيد في شرفه وعلو مكانته قريب في تبصرته وهدايته .**

**﴿ ذلك الكتاب ﴾ إشارة دالة على التعظيم . والكتاب في الأصل مصدر . وقد يراد به المكتوب .**

**وأصل هذه المادة الدلالة على الجمع ومنه كتيبة الجيش . والكتاب عُرفاً ضم بعض حروف الهجاء إلى بعض . وتسمية القرآن بالكتاب هكذا بالتعريف فيه أيضاً تنويه بمكانته، وأنه الجدير بأن يُخَصَّ بإطلاق هذا الاسم عليه من بين الكتب المنزلة ؛ لأنه المهيمن الحافظ لمقاصدها وهدايتها، الشاهدُ المؤتمن على ما جاء فيها ، وبه ينقطع كل ادّعاءٍ على الكتب المنزلة قبـله، ويبطل كل باطل ينسـب زوراً إليها ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾( سورة المائدة : 48 ) فلا سبيل مع هذا الكتاب لتَقَوُّل على الله أو ادعاء على رسله . ونور الحق الذي جاء به ساطعٌ يُبطل كل باطل ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ \* لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ ( سورة فصلت : 41 ، 42 ) وقد حفظه الله وأبقاه .**

**وفي حفظ الله له مخاطبة للخلق بكلمة الحق التي بعث بها الأنبياء جميعاً وجاء خاتَمُهم صلى الله عليه وسلم ليبلغها للناس أجمعين ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾( الأعراف : 158 )**

**فقد نُزِّل الكتاب المحفوظ بحفظ الله على النبي الأمي خاتم النبيين بلاغاً للعالمين فليس بعد هذا الكتاب كتاب ولا بعد الرسول المنزل عليه رسول ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾( سورة الفرقان : 1 )**

**﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ فإن قيل قد وجد الريب من كثير من الناس في القرآن ، وقوله ﴿ لا ريب فيه ﴾ ينفي ذلك .**

**فالجواب أن المنفي كونه متعلَّقاً للريب ومَحلاًّ له . بمعنى أن معه من الأدلة ما لو تأمله المنصف المحق لم يَرْتَب فيه ، ولا اعتبار بريب يكون من مرتاب لم ينظر حق النظر ومعرض لم يرد أن يتدبر .**

**﴿ هدي للمتقين ﴾ أي رشاد وبيان . وتخصيص الهدى بالمتقين يدعونا إلى وقفة متأنية نرى فيها لماذا خصهم مع أن هداية القرآن عامة شاملة وقد جاءت الهداية مطلقة في قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ ﴾ [البقرة: الآية185] فلماذا خَصَّ وعَمَّ وأطلق وقيد ؟ لماذا خَصَّ في موضع وعَمَّ في آخر ؟**

**إن القرآن من حيث هو نور وهدى للناس أجمعين . ومن حيث الانتفاع به والفوز بهدايته لا يكون إلا لمن اتبعه وأخضع هواه لما جاء به ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى \* وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى \* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً \* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى \* وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآياتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ [ طه 123 – 127 ] فتخصيص الهدى بالمتقين لما أنهم المقتبسون من أنواره المنتفعون بهدايته ، وإن كانت هدايته شاملة لكل ناظر من مؤمن أو كافر ولكن لا يظفر بنتائجه إلا من اتبعه واهتدى بهداه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه . والآثار التي تترتب على التقوى في حياة الناس لا تخفى .**

**فإن من اتقى كف شرّه عن غيره وقدَّم خيره . وردّته تقواه عن ظلمه لنفسه في الإعراض عن الذكر أو الإساءة لغيره**

**وأما في الآخرة فالدار دارهم ونعم دار المتقين ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ \* جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴾ ومن رحمة الله بالخلق أن جعل للتقوى شرعة ومنهاجا . ومنهاج المتقين قرآن وسنة . وأهل التقوى في جميع أحوالهم متبعون لا مبتدعون ، يخضعون أنفسهم للحق ولا يتبعون الأهواء . فإن اتباع الهوى جهل وضلال واتباع الهدى هدى ونور ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ \* إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ \* هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ( سورة الجاثية : 18 ـ 20 ) إن موقف الناس من الحق الذي أنزل هو الذي يحدد مصائرهم . والقرآن الكريم يبين الجزاء ويذكر النتائج ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ (لأنفال: الآية42) فلا يدع الناس يتيهون دون تحديد للمعالم والصفات ، بل يبين صفات الناجين المفلحين ليتبع الناس سبيلهم، ويذكر صفات الهالكين الخاسرين ليجتنب الناس سبلهم ، ويفيض في ذلك إفاضة بالغة حتى لا تبقى لأحد من الناس حجة أو معذرة .**

**القرآن هدى للمتقين لأنهم المنتفعون بنوره . فمن هم المتقون الذين خصهم القرآن بهدايته وشملهم الرحمن برحمته ؟**

**نقرأ في القرآن المجيد تحديداً لصفاتهم وبيانا لأعمالهم . وإذا تدبرنا آثار هذه الأعمال وتلك الصفات رأيناها أمنا لدنيا الناس وسلاما لحياتهم وتراحما فيما بينهم والراحمون يرحمهم الرحمن ، ومن لا يرحم لا يرحم .**

**﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ (2) )الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) ﴾ هؤلاء هم الذين انتفعوا بهداية القرآن فعَلموا وعمِلوا وبَّروا وصدقوا وآمنوا برسل الله جميعا ولم يفرقوا وأيقنوا بلقاء الله فسارعوا إلى الخيرات وكفوا عن السيئات . أرأيت أخي المسلم أن هداية القرآن رحمة للناس في دنياهم وأخراهم . فمن اهتدى بالقرآن استقام وأصلح وأفلح ، ومن أعرض عنه ضل وشقي وأفسد وندم على التفريط فيه يوم لا ينفع الندم . وفي القرآن إنذار لهؤلاء وبشرى لأولئك ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً (9) وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ (1)**

**\*نعمة الهداية إلى دين الإسلام**

**إن أجلّ نِعَم الله، وأعظم مِنَنِه على عباده هدايته - تبارك وتعالى - من شاء من عباده إلى هذا الدين الحنيف إلى دين الإسلام، دين الله - تبارك وتعالى - الذي رضيه لعباده دينًا، فهذه النعمة العظمى، والعطية الأجل - عباد الله - يقول الله - تعالى - في التنويه بهذه النعمة وبيان عِظَم مكانتها، وأنها مِنَّتُه - سبحانه - على من شاء من عباده؛ يقول - جلَّ وعلا -: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات: 17]، ويقول - جلَّ وعلا -: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ [الحجرات: 7]، ويقول - جلَّ وعلا -: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: 21]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.**

**إن هذه النعمة، نعمة الإسلام التي هي أجل النعم عَظُم شأنها، وكَبُر قدرها؛ لأن الإسلام هو دين الله، دين الله - تبارك وتعالى - الذي رضيه - عز وجل - لعباده دينًا، ولا يقبل منهم دينًا سواه؛ يقول - جلَّ وعلا -: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ ===============================**

**(1)الأنترنت ـ موقع ـ الإسلام، القرآن والتفسیر**

**ويقول - جل وعلا -: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: 85]، ويقول - جلَّ وعلا -: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: 3]، ويقول - جلَّ وعلا -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ [البقرة: 208]؛ أي: في الإسلام.**

**إن من أكرمه الله - عز وجل - وحباه بهذا الدين، وجعله من أهل الإسلام - عليه أن يعرفَ لهذه النعمة قدرها، ويرعى لها مكانتها حِفْظًا ومحافظة ورعاية لهذا الإسلام، وعناية به من كل ما ينقصه أو يناقضه؛ من الأعمال الباطلة، والمخالفات السيئة، وفعل الحرام، والآثام - عباد الله - وإن من أعظم واجبات أهل هذا الدين أن يعرفوا الإسلام، ويعرفوا تفاصيله وشرائعه وحقيقته؛ لأن أعظم عون للإنسان في محافظته على إسلامه أن يعرف الإسلام وحقيقته، وأن يعرف شرائعه وتفاصيله على ضوء ما جاء في كتاب الله وسُنَّة نبيِّه - صلى الله عليه وسلم.**

**الإسلام عقائد صحيحة يُعمر بها قلب المؤمن إيمان بالله - عز وجل - وإيمان بكل ما أمر - تبارك وتعالى - عباده بالإيمان به؛ ﴿ قُلْ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ \* وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: 84 - 85].**

**فالإسلام بمفهومه العام الشامل يشمل عقائد الدين التي تعمر بها القلوب من الإيمان بالله، والإيمان بملائكته وكتبه، ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وفي المسند للإمام أحمد - رحمه الله -: "أن رجلاً سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - أيُّ الإسلام أفضل؟ قال: ((الإيمان، قال: وما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه ورسله، وأن تؤمن بالبعث بعد الموت))؛ حديث حسن.**

**والإسلام يقوم على طاعات زاكية، وعبادات عظيمة يفعلها العبد متقرِّبًا بها إلى الله - جل وعلا - منقادًا مستسلمًا مُذعنًا لله، خاضعًا لجنابه - سبحانه - وأعظم طاعات الإسلام، وأجلها مباني الإسلام الخمسة التي بيَّنها النبي - صلى الله عليه وسلم - في أحاديث متكاثرة؛ منها حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((بُنِي الإسلام على خمس؛ شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج بيت الله الحرام إن استطعت إليه سبيلاً)).**

**الإسلام صلاح في الظاهر والباطن، باطن الإنسان، وهو قلبه يستسلم لله - جلَّ وعلا - ويخضع لجناب الربِّ - سبحانه - ويذل وينكسر بين يديه، وجوارح العبد تنقاد مستسلمة لله مُطيعة له مُمتثلة أمره - عز وجل - جاء في المسند للإمام أحمد بسند ثابت عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جدِّه، قال: قلتُ يا رسول الله: "ما الإسلام؟ قال: ((أن تسلم قلبك لله، وأن تولي وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وأن تؤدي الزكاة المفروضة)).**

**فجمع - عليه الصلاة والسلام - في معنى الإسلام بين صلاح الباطن بالاستسلام، استسلام القلب لله، وصلاح الظاهر بصلاح الجوارح بالاستقامة على طاعة الله، والمحافظة على عبادته – سبحانه.**

**الإسلام تكافل بين المسلمين، وتعاون وتواصل، وتراحم وأخوة؛ قال - جلَّ وعلا -: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: 10]، وفي الحديث يقول - صلى الله عليه وسلم -: ((المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يحقره))، وفي الحديث أيضًا عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قلت: "يا رسول الله، أيُّ الإسلام أفضل؟ قال تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت، ومن لم تعرف))؛ روه البخاري، ومسلم.**

**الإسلام نهوض بالهِمم وارتفاع بالعزائم، وانشغال بمعالي الأمور، وبعد عن كل ما لا يعني الإنسان في دينه ودنياه، ولهذا جاء في الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: ((مِن حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه))؛ رواه الترمذي.**

**وهكذا نجد أن هذا الدين العظيم يهذِّب العقائد، وينقي الأعمال، ويزكي السلوك، ويرتفع بالعبد إلى معالي الأمور، فالواجب على عباد الله المسلمين أن يجتهدوا في بذل وسعهم؛ لعمارة أوقاتهم بتحقيق هذا الإسلام، وحفظه والمحافظة عليه(1)**

**\*لماذا الدعوة إلى الله والحرص على هداية الناس؟**

**هناك دوافع تحث المسلم على القيام بالدعوة والحرص على هداية الناس ودخولهم في دين الإسلام، منها :**

1. **ما ادخره الله من عظيم الأجر وجزيل الثواب لمن سعى إلى هداية الناس للإسلام، فالداعية يحب الخير لنفسه، وإذا علم ذلك تمنى هداية الناس كلهم على يديه، وقد قال صلى الله عليه وسلم:(( لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم))،**

**==========================**

1. **الأنترنت ـ موقع الألوكة ـ الشيخ عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر**

**ورغب في تضاعف أجره عند الدلالة على الخير واتباع الناس للهدى، كما قال صلى الله عليه وسلم: (( من دل على خير فله مثل أجر فاعله))**

**2- حب الخير لناس، فالداعية المؤمن يشفق على غيره من الوقوع في الحرام وحمل الآثام، ويحب التزام الناس بشرع الله وبفضائل الدين، فلا يزال آمرا لهم بالمعروف، ناهيا لهم عن المنكر، دالا لهم على أوجه الخير كلها، يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير الدنيوي والأخروي، ويبغض لهم ما يبغض لنفسه من الشر، وهذا علامة كمال الإيمان ، كما قال صلى الله عليه وسلم: (( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))**

**3- إقتداؤه بالرسول صلى الله عليه وسلم، إمام الدعاة وأحرصهم على هداية الناس للخير وتعليمهم إياه، وقد وصفه الله تعالى بقوله ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾، وقوله تعالى ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ ، كما يوجهه وقد غمره شعور بالأسى والحزن لانصراف الناس عنه، وبعدهم عن دعوته، حتى كاد يهلك نفسه غما عليهم، فيقول له تعالى ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾**

**ويضرب عليه الصلاة والسلام مثلاً لحاله مع قومه، وحرصه على هدايتهم، وإبعادهم عن كل ما يضرهم فيقول: ((مَثلي ومَثلكم، كمثل رجل أوقد ناراً، فجعل الجَنادب والفَراش يقعن فيها، وهو يذبُّهن عنها، وأنا آخذ بحُجُزكم عن النار، وأنتم تَفلَّتُون من يدِي))**

**فرغم الأذى والصد والعدوان الذي لقيه صلى الله عليه وسلم من قومه، فإن هدفه الأسمى والأول هو هدايتهم، وانتصار دعوته لا انتصار نفسه أو الثأر لذاته ، فيصفح عنهم بعد الفتح والتمكن صفحا جميلا، لأن دعوة الإسلام دعوة لصلاح الناس وهدايتهم.**

**وقد سنحت الفرصة سابقاً للنبي صلى الله عليه وسلم أن ينكل بقومه وقت اشتداد أذاهم عليه، وذلك حين بعث الله تعالى له ملك الجبال مع جبريل عليهما السلام، ليأمره بما شاء من إيقاع العذاب عليهم- كما روى الإمام البخاري رحمه الله- فقال له: ( إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين . فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (( بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا)) ، وذلك لشدة حرصه وشفقته على أمته، فإن كفر هؤلاء، فقد يأتي من بنيهم من يقول لا إله إلا الله، وذلك ما حدث، فقد أسلم يوم الفتح بعض أبناء أساطين الكفر كعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية بن خلف وعتبة بن أبي لهب وغيرهم.**

**ومن شواهد حرصه على دخولهم في الإسلام في غزوة الفتح ما يلي:**

**• حقنه لدماء أهل مكة أولاً، ثم العفو عنهم وإطلاقهم، والعفو عمن كان قد أهدر دمه واستؤمن له، وذلك تأليفا لهم وحفظاً لأرواحهم، لعلهم يقبلون على الإسلام وتهتدي له قلوبهم.**

**• إشعارهم بهذا الحرص عليهم، وبمكانتهم عنده إن هم أسلموا، ومن ذلك قوله: (( اليوم أعز الله قريشًا))، فدعوة الإسلام ما تقصد إلا تكريمهم وتوقيرهم وإعزازهم واحترامهم**

**• إخباره المسلمين عن رغبة بعض أهل مكة في الإسلام كي لا يعرض لهم بأذى أو قتال، كقوله حين اقترب من مكة: (( إن بمكة أربعة نفر من قريش، أربأهم عن الشرك، وأرغب بهم في الإسلام: عتاب ابن أسيد، وجبير بن مطعم، وحكيم بن حزام، وسهيل بن عمرو))، فأسلموا وحسن إسلامهم**

**• معاودة الدعوة وتكرارها، لمن كان يعارضها مرة بعد مرة، وعدم اليأس من إسلامه، بل وضع الأمل في غفران الله تعالى له معارضته لدعوة الحق فيما مضى، وتجنب الوقوف موقف الخصومة الأبدية ممن رفضها وصدها[19]، وإنما المسارعة إلى قبوله في صفوف المسلمين، وإظهار الفرح والاستبشار بذلك. وكذلك كان صحابته رضوان الله عليهم، أحرص الناس على هداية غيرهم، فالعباس رضي الله عنه يحرص قبل الفتح على حقن دماء قريش، ويحب لهم أن يدخلوا في الدين، وما أن فتحت مكة حتى أقبل بعضهم بأحد أقربائه ليسلم حرصا على إنقاذه من النار، كما فعل أبو بكر رضي الله عنه مع والده أبي قحافة فأسلم، ومجاشع رضي الله عنه مع أخيه أبي معبد فبايع على الإسلام والإيمان والجهاد ، إن تحلي الداعية بهذه الصفة، لا ينبغي أن يجعله متلهفاً على رؤية نتائج دعوته، وثمرة جهده، فيصيبه الألم والحسرة، حين يرى الصد والإعراض، بل أنه رغم شدة حرصه وإيمانه أنه على طريق الحق، لا بد وأن يتذكر قوله تعالى ﴿ إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ ، فعليه أن يقدم الدعوة إلى الناس كأمثل ما يكون، ويغرس بذرة الخير، والله تعالى هو صاحب المشيئة والإرادة في هداية الناس، لا محبة الإنسان المخلوق ورغبته، وقد قال تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (1)**

**========================================**

**(1)الأنترنت ـ موقع الألوكة د. هند بنت مصطفى شريفي**

**\*لماذا يُحرم الناس الهداية؟**

**كثير مِن الناس يَطرُق باب الهداية، فمنهم مَن يُحرَم منها بالكلية حتى يُختم له بالشقاء، ومنهم مَن يتحصَّل على جزء مِن الهداية ويُحرَم الجزء الآخَر، ومنهم مَن يَهتدي لفترة ثم ينقلب بعد ذلك على عقبَيه ويُسلَب الهداية، فما الذي حرَمنا الهداية ونحن نَطلُبها؟ ولماذا تُسلَب منا بعدما تذوَّقنا حلاوتها؟**

**القرآن أجاب لنا عن هذا السؤال؛ يقول الحق سبحانه: ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: 258]، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة: 108]، ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ [يوسف: 52].**

**أسباب حِرمان الهداية :**

**السبب الأول - الظُّلم:**

**الظلم ظلُمات في الدنيا والآخِرة، والإنسان يُحرم التوفيقَ إلى الهداية بسبب ظلمه لنفسِه أو لغيره، ومِن الظلم للنفس:**

**• الشِّرك، وهو مِن أقبَح الظُّلم، والذي منه اتخاذ الندِّ والنظير والشريك مع ربِّ العالَمين؛ يحبُّ أحدًا مثل الله، أو يطلُب شيئًا لا يستطيع تلبيتَه له إلا ربُّ العالَمين، أو يُرائي بعمله أو يُسمِّع به؛ لذا الذين لم يُخالطوا إيمانَهم بظلم (بشرك) تتحقَّق لهم الهداية والأمن؛ قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: 82].**

**• ومِن ظلْم الإنسان لنفسِه أيضًا: التمادي في المعاصي، وتَركُ الجوارِح دون ضابط ودون توبة، فتتراكَمُ عليه الذنوب فتَسدُّ باب الهداية عليه؛ لأن الذنوب تُحجِّم حركات الجوارح، وساعتَها لا يستطيع أن يَسلُك طريق الهداية، وقد أكَّد هذا المعنى حديثُ النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث قال: ((مَثَل الذي يعمل السيئات، ثم يَعمل الحسنات، كمَثَل رجل كانت عليه دِرْع ضيِّقة قد خنَقتْه، ثم عمل حسنةً فانفكَّت حَلقة، ثم عمل حسَنة أخرى، فانفكَّت أُخرى، حتى يَخرج إلى الأرض))؛ (أخرجه أحمد، والطبراني في "الكبير"، والبغويُّ، وهو حديث قوي)، فالذنوب كالدِّرع الذي يَخنق العاصي ويشلُّ حرَكته، فلا بد من توبة واستِغفار، ودعاء ورجاء، وتذلُّل وعمل صالح حتى يفكَّ أسرك من هذه القيود، وتَرجِع مرة أخرى إلى نعيم الطاعة والهداية.**

**• ومِن ظلم الإنسان لغيره: الاستطالة في أعراض الناس؛ فلسانُه يَجرح في أعراض الناس بحق أو بغير حق، وإنه لَمِن أربى الرِّبا - أشدُّ مِن رِبا الأموال - أن يَخوض المرء في عِرض أخيه، قال - صلى الله عليه وسلم -: ((إن مِن أربى الرِّبا الاستِطالة في عِرض المسلم بغير حق))؛ رواه أحمد والبزار، ورواة أحمد ثقات.**

**• ومِن ظلم الإنسان لغيره: تضييع مَن يَعول وقطْع الأرحام التي أمَر الله بوصلِها؛ قال - صلى الله عليه وسلم -: ((كفى بالمرء إثمًا أن يُضيِّع مَن يقوت))؛ (أخرجه أبو داود، وقال الشيخ الألباني: صحيح)، وفي رواية لأحمد عن وهب قال: إن مولًى لعبدالله بن عَمرو قال له: إني أريد أن أقيم هذا الشَّهر هَهُنا ببيت المقدس، فقال له: تركتَ لأهلِك ما يُقوِّتهم هذا الشهر؟ قال: لا، قال: فارجع إلى أهلك فاترك لهم ما يُقوِّتهم؛ فإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((كفى بالمرء إثمًا أن يُضيِّع مَن يَقوت))، وليس الإيضاعُ إيضاعَ النفَقة عليهم وتلبية حاجاتهم فقط، ولكنَّ الإيضاع الأكبر ألا يَقيَهم عذاب النار التي وقودُها الناس والحجارة، وذلك بتعريفهم حقوقَ الله عليهم، والإعانة على تأديتِها، وكذلك الصبر والمُصابَرة في دعوتهم وإعانتهم على ذلك؛ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: 6]، وقال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [طه: 132].**

**وأما عن قطْع الرَّحِم فيقول - صلى الله عليه وسلم -: (وإن هذه الرَّحم شُجنَةٌ مِن الرحمن - عزَّ وجل - فمَن قطَعها حرَّم الله عليه الجنَّة) رواه أحمد والبزار، ورُواة أحمد ثقات.**

**• ومِن ظُلمِ الإنسان لغيره: أكْل أمول الناس بالباطل، والتعدي على حُقوقهم؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 188]، وقال - صلى الله عليه وسلم -: ((مَن ظلَم مِن الأرض شِبرًا طُوِّقه مِن سبع أرَضين))؛ متفق عليه.**

**السبب الثاني: الفسق:**

**ومِن أسباب حِرمان الهداية: الفسْق، وهو الخُروج عن طاعة الله، وأشدُّه النفاق، وكثيرًا ما يَصف ربُّنا المنافقين بهذه الصِّفة، والنِّفاق يَحرم صاحبَه الهداية؛ وذلك لأنه يزيغ القلب عن الطريق المستقيم، وهو أخطر الأمراض التي تُهدِّد المجتمع كلَّه في كل زمان، وما سقَط أناس كثيرون في هاويَة الضَّلال إلا بسبب نِفاقهم، فأزاغ الله قلوبهم لما زاغوا عن طريق الحق بفسقِهم؛ قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الصف: 5]، نسأل الله أن يُطهِّر قلوبنا مِن النِّفاق والرياء.**

**السبب الثالث: الخيانة:**

**جرَت سنَّة الله في الكون على أنَّ فُنون الباطل وإن راجَت أوائلُها لا تَلبَث أن تَنقشِع، وأن الخائنين مهما طالتْ خيانتُهم فإنهم سيُكشَفون؛ لأن الخيانة سواء بالقول أو الفعل زاهِقةٌ؛ لأنها باطِل، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الصف: 5].**

**ومِن أكبَر الخيانة أن يَخون الإنسان دينَه وأمانته، ويَبيع هذا الدِّين بعرَض قليل؛ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾**

**وعمومًا، فإن التوغُّل في الظلم أو الفسْق أو الخيانة يَحرم صاحبَه الهداية، وإذا أراد العبد أن يَسلك الهداية ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ، إلى أن يلقى الله وهو على ذلك، فلْيتَخلَّص مِن عوائق الهداية؛ وهي الظلم بجميع أنواعه (ظلم الإنسان لنفسِه ولغيره)، ومِن الخروج عن الطاعة، والخيانةِ، ثم يأخذ بأسباب الهداية، فبعدما طلَب اللهُ مِن عباده أن يسألوه الهداية في سورة الفاتحة (اهدِنا)، بيَّن لهم صفات المُهتدين؛ حتى يتمسَّكوا بها، وهذا مذكور في أوائل سورة البقرة مِن قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ، وحذَّرهم كذلك مِن مسالك أهْل الضلال مِن الكافرين والمنافِقين، من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ... ﴾ [البقرة: 6] إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: 20]. (1)**

**=================================================**

**(1)** **الأنترنت ـ موقع الألوكة ـ د. خالد راتب**

**\*اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**

**تهيأ لأصحاب هذه المناجاة أن يسعوا إلى طلب حظوظهم الشريفة من الهداية بعد أن حمدوا الله ووصفوه بصفات الجلالة ثم أتبعوا ذلك بقولهم : { إياك نعبد وإياك نستعين } الذي هو واسطة جامع بين تمجيد الله تعالى وبين إظهار العبودية وهي حظ العبد بأنه عابد ومستعين وأنه قاصر ذلك على الله تعالى ، فكان ذلك واسطة بين الثناء وبين الطلب ، حتى إذا ظنوا بربهم الإقبال عليهم ورجَوا من فضله ، أفضوا إلى سُؤَل حظهم فقالوا : { اهدنا الصراط المستقيم } فهو حظ الطالبين خاصة لما ينفعهم في عاجلهم وآجلهم ، فهذا هو التوجيه المناسب لكون الفاتحة بمنزلة الديباجة للكتاب الذي أُنزل هدى للناس ورحمة فتتنزل هاته الجملة مما قبلها منزلة المقصد من الديباجة ، أو الموضوع من الخطبة ، أو التخلص من القصيدة ، ولاختلاف الجمل المتقدمة معها بالخبرية والإنشائية فصلت هذه عنهن ، وهذا أَوْلى في التوجيه من جعلها جواباً لسؤال مقدر على ما ذهب إليه صاحب «الكشاف» .**

**والهداية الدلالة بتلطف ولذلك خصت بالدلالة لما فيه خير المدلول لأن التلطف يناسب من أريد به الخير ، وهو يتعدى إلى مفعول واحد بنفسه لأن معناه معنى الإرشاد ، ويتعدى إلى المفعول الثاني وهو المهدى إليه بإلى وباللام والاستعمالان وارداننِ ، تقول هديته إلى كذا على معنى أوصلته إلى معرفته ، وهديته لكذا على معنى أرشدته لأجل كذا : { فاهدوهم إلى صراط الجحيم } ، { الحمد لله الذي هدانا لهذا } وقد يعدى إلى المفعول الثاني بنفسه كما هنا على تضمينه معنى عرف قيل هي لغة أهل الحجاز وأما غيرهم فلا يعديه بنفسه وقد جعلوا تعديته بنفسه من التوسع المعبر عنه بالحذف والإيصال . وقيل الفرق بين المتعدي وغيره أن المتعدي يستعمل في الهداية لمن كان في الطريق ونحوه ليزداد هدى ومصدره حينئذٍ الهداية ، وأما هداه إلى كذا أو لكذا فيستعمل لمن لم يكن سائراً في الطريق ومصدره هُدى ، وكأن صاحب هذا القول نظر إلى أن المتعدي بالحرف إنما عدي لتقويته والتقوية إما أن يقصد بها تقوية العامل لضعفه في العمل بالفرعية أو التأخير ، وإما أن يقصد بها تقوية معناه ، والحق أن هذا إن تم فهو أغلبي على أنه تخصيص من الاستعمال فلا يقتضي كون الفعل مختلف المعنى لأن الفعل لا تختلف معانيه باعتبار كيفية تعديته إلا إذا ضمن معنى فعل آخر ، على أن كلاً من الهُدَى والهداية اسم مصدر والمصدر هو الهَدْي . والذي أراه أن التعدية والقصور ليسا من الأشياء التي تصنع باليد أو يصطلح عليها أحد ، بل هي جارية على معنى الحدث المدلول للفعل فإن كان الحدث يتقوم معناه بمجرد تصور من قام به فهو الفعل القاصر وإن كان لا يتقوم إلا بتصور من قام به ومن وقع عليه فهو المتعدي إلى واحد أو أكثر ، فإن أشكلت أفعال فإنما إشكالها لعدم اتضاح تشخص الحدث المراد منها لأن معناها يحوم حول معان متعددة .**

**وهدَى متعد لواحد لا محالة ، وإنما الكلام في تعديته لثان فالحق أنه إن اعتبر فيه معنى الإراءة والإبانة تعدى بنفسه وإن اعتبر فيه مطلق الإرشاد والإشارة فهو متعد بالحرف فحالة تعديته هي المؤذنة بالحدث المتضمن له .**

**وقد قيل إن حقيقة الهداية الدلالة على الطريق للوصول إلى المكان المقصود فالهادي هو العارف بالطرق وفي حديث الهجرة : «إن أبا بكر استأجر رجلاً من بني الديل هادياً خِريتاً» وإن ما نشأ من معاني الهداية هو مجازات شاع استعمالها . والهداية في اصطلاح الشرع حين تسند إلى الله تعالى هي الدلالة على ما يرضي الله من فعل الخير ويقابلها الضلالة وهي التغرير .**

**واختلف علماء الكلام في اعتبار قيد الإيصال إلى الخير في حقيقة الهداية فالجمهور على عدم اعتباره وأنها الدلالة على طريق الوصول سواء حصل الوصول أم لم يحصل وهو قول الأشاعرة وهو الحق . وذهب جماعة منهم الزمخشري إلى أن الهداية هي الدلالة مع الإيصال وإلا لما امتازت عن الضلالة أي حيث كان الله قادراً على أن يوصل من يهديه إلى ما هداه إليه ، ومرجع الخلاف إلى اختلافهم في أصل آخر وهو أصل معنى رضى الله ومشيئته وإرادته وأمره ، فأصحاب الأشعري اعتبروا الهداية التي هي من متعلق الأمر ، والمعتزلة نظروا إلى الهداية التي هي من متعلق التكوين والخلْق ، ولا خلاف في أن الهداية مع الوصول هي المطلوبة شرعاً من الهادي والمهدي مع أنه قد يحصل الخطأ للهادي وسوء القبول من المهدي وهذا معنى ما اختار عبد الحكيم أنها موضوعة في الشرع لقدر المشترك لورودها في القرآن في كل منهما قال : { إنك لا تهدي من أحببت } وقال : { وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى } والأصل عدم الاشتراك وعدم المجاز .**

**والهداية أنواع تندرج كثرتها تحت أربعة أجناس مترتبة :**

**الأول : إعطاء القوى المحركة والمدركة التي بها يكون الاهتداء إلى انتظام وجود ذات الإنسان ، ويندرج تحتها أنواع تبتدىء من إلهام الصبي التقام الثدي والبكاء عند الألم إلى غاية الوجدانِيَّات التي بها يدفع عن نفسه كإدراك هول المهلكات وبشاعة المنافرات ، ويجلب مصالحه الوجودية كطلب الطعام والماء وذودِ الحشرات عنه وحك الجلد واختلاج العين عند مرور ما يؤذي تجاهها ، ونهايتها أحوال الفكر وهو حركة النفس في المعقولات أعني ملاحظة المعقول لتحصيل المجهول في البديهيات وهي القوة الناطقة التي انفرد بها الإنسان المنتزعة من العلوم المحسوسة .**

**الثاني : نصب الأدلة الفارقة بين الحق والباطل والصواب والخطأ ، وهي هداية العلوم النظرية .**

**الثالث : الهداية إلى ما قد تقْصُر عنه الأدلة أو يفضي إعمالها في مثله إلى مشقة وذلك بإرسال الرسل وإنزال الكتب وموازين القسط وإليها الإشارة بقوله تعالى في شأن الرسل :{ وجعلناهم أيمة يهدون بأمرنا } [ الأنبياء : 23 ] .**

**الرابع : أقصى أجناس الهداية وهي كشف الحقائق العُليا وإظهار أسرار المعاني التي حارت فيها أَلباب العقلاء إما بواسطة الوحي والإلهام الصحيح أو التجليات ، وقد سمى الله تعالى هذا هدى حين أضافه للأنبياء فقال : { أولئك الذين هدى الله فيهداهم اقتده } ولا شك أن المطلوب بقوله { اهدنا الملقَّن للمؤمنين هو ما يناسب حال الداعي بهذا إن كان باعتبار داع خاص أو طائفة خاصة عندما يقولون : اهدنا ، أو هو أنواع الهداية على الجملة باعتبار توزيعها على من تأهل لها بحسب أهليته إن كان دعاء على لسان المؤمنين كلهم المخاطبين بالقرآن ، وعلى كلا التقديرين فبعض أنواع الهداية مطلوب حصوله لمن لم يبلغ إليه ، وبعضها مطلوب دوامه لمن كان حاصلاً له خاصة أو لجميع الناس الحاصل لهم ، وذلك كالهداية الحاصلة لنا قبل أنْ نسألها مثل غالب أنواع الجنس الأول .**

**وصيغة الطلب موضوعة لطلب حصول الماهية المطلوبة من فعل أو كف فإذا استعملت في طلب الدوام كان استعمالها مجازاً نحو : { يأيها الذين آمَنوا آمِنوا } وذلك حيث لا يراد بها إلا طلب الدوام . وأما إذا استعملت في طلب الدوام للزيادة مما حصل بعضُه ولم يحصل بعضه فهي مستعملة في معناها وهو طلب الحصول لأن الزيادة في مراتب الهداية مثلاً تحصيل لمواد أخرى منها . ولما كان طلب الزيادة يستلزم طلب دوام ما حصل إذ لا تكاد تنفع الزيادة إذا انتقض الأصل كان استعمالها حينئذٍ في لازم المعنى مع المعنى فهو كناية . أما إذا قال : { اهدنا الصراط المستقيم } من بلَغَ جميع مراتب الهداية ورقَى إلى قمة غاياتها وهو النبي صلى الله عليه وسلم فإن دعاءه حينئذٍ يكون من استعمال اللفظ في مجاز معناه ويكون دعاؤه ذلك اقتباساً من الآية وليس عين المراد من الآية لأن المراد منها طلب الحصول بالمزيد مع طلب الدوام بطريقة الالتزام ولا محالة أن المقصود في الآية هو طلب الهداية الكاملة .(1)**

**\*الثبات علي الهداية**

**أخبر النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - أنَّ بين يدي الساعة فِتنًا كقِطع الليل المظلِم، يُصبح الرجل فيها مؤمنًا، ويُمسي كافرًا، يبيع أقوامٌ دِينَهم بعَرَض من الدنيا قليل؛ رواه الحاكم، وإنَّنا - أيُّها المسلمون - نعيش في هذه الأيَّام في فتن تلاطمت، وشُبَه انتشرت، وأنواع من الرِّدة لم نعهدْها خرجت، حتى أصبح المرءُ يخشى على نفسه الضلالةَ بعد الهداية، والحَوْرَ بعدَ الكَوْر.**

**لقد ازدادتِ الحاجة إلى معرفة نِعمة الهداية، وتوفيق الله للمرء بالثبات عليها؛ لأنَّنا جميعًا - إلاَّ مَن رحم الله - جمعْنا بين تقصيرٍ في طاعة الله، وأَمْن من عقابه، في زمن تعدَّدت فيه وتنوَّعت الشهواتُ والشبهات، ولقد كان سلفُنا الصالح يجمعون بين طاعة الله، والخوف على أنفسهم من الزَّيْغ في مجتمع يعينهم على ذِكْر الله - سبحانه - فما أحرانا أن نقتديَ بهم.**

**==============================**

**(1) الأنترنت ـ موقع تفسير ابن عاشور**

**إنَّ سلوك طريق الهداية نعمةٌ يُنعِم الله بها على مَن يشاء من عبادِه، ولذا نرى الكثيرَ من أتباع هذا الدِّين ومِن غيره يتمنَّوْن الهدايةَ الحقَّة إلى الطريق المستقيم، ولكن لا يُوفَّقون لها، وتَحُول بينهم وبين الهداية العوائقُ؛ يقول ابن الجوزي - رحمه الله -: "تفكَّرْتُ في سبب هداية مَن يهتدي، وانتباه مَن يتيقظ مِن رقاد غفلته، فوجدتُ السببَ الأكبر اختيار الحقِّ لذلك الشَّخْص، كما قيل: إذا أرادك لأمر هيَّأك له".**

**إنَّ الهِداية في بدايتها بيانٌ للحقِّ، ودلالةٌ إليه، ثم إذا سَلَكها المرءُ جاء دورُ الهداية التالية، وهي هدايةُ التوفيق، وقد أنعم الله علينا بسلوك طريقِ الهداية إلى الدِّين القويم بدعوة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وبَقِي على المرء أن يسأل ربَّه بعدَ أن أكْرمه بالهداية الأولى أن يَمُنَّ عليه بأنواع الهداية الأخرى، والتي أوصلَها ابنُ القيم - رحمه الله - في "مدارج السالكين" إلى عشر مراتب.**

**يقول ابن سعدي - رحمه الله تعالى - تعليقًا على قوله - سبحانه -: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة: 6]: "أي: دُلَّنا وأَرشِدْنا إلى الصراط المستقيم، وهو معرفة الحقِّ والعمل به، فهي هدايةُ الصراط، وهداية في الصراط، الهداية إلى الصراط لزوم دِين الإسلام، وترْك ما سواه من الأديان، والهداية في الصراط تشمل الهدايةَ لجميع التفاصيل الدِّينيَّة علمًا وعملاً، فهذا الدُّعاء من أجمعِ الأدعية، وأنفعها للعبد، ولهذا وَجَب على الإنسان أن يدعوَ به في كلِّ ركعة من صلاته؛ لضرورتِه إلى ذلك".**

**إنَّ حاجتَنا للهداية والثبات عليها لا تقتصر على الدنيا فقط، بل يمتدُّ أثرُها ونفعها لِمَن وفَّقه الله إليها إلى يوم القيامة؛ يقول ابن القيم - رحمه الله -: "وللهداية مرتبة أخرى وهي آخِر مراتبها وهي الهداية يومَ القيامة إلى طريق الجنة، فمَن هُدِي في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم، هُدي هناك إلى الصراط المستقيم للوصول إلى جنَّتِه ودار ثوابه، وعلى قدْر ثبوت قدَمِ العبد على هذا الصراط الذي نصَبَه الله لعباده في هذه الدار، يكون ثبوتُ قدمه على الصراط المنصوب على مَتْن جهنم، وعلى قدْر سَيْرِه على هذا الصراط يكون سَيرُه على ذلك الصراط، فمنهم مَن يمرُّ كالبَرْق، ومنهم من يَمرُّ كالرِّيح، ومنهم من يَسعى سعيًا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يحبو حبوًا، ومنهم المخدوش المسلَّم، ومنهم المكردس في النار، فلينظرِ العبدُ سيرَه على ذلك الصراط من سَيرِه على هذا، حذوَ القُذَّة، جزاءً وفاقًا؛ {هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} ولينظرِ الشبهات والشهوات التي تعوقُه عن سَيْره على هذا الصراط، تخطفه وتعوقه عن المرور عليه، فإذا كثَرُت هنا وقويت، فكذلك هي هناك؛ {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}**

**إنَّ الهداية هي سؤالُ الله معرفةَ الحق، ثم التوفيق للعملِ بالحق، ومِن هنا يُعلم اضطرارُ العبد إلى سؤال هذه الدعوة، وبطلان قوْل مَن يقول: إذا كنَّا مهتدين، فكيف نسأل الهداية؟ لأنَّ المجهول لنا من الحق أضعافُ المعلوم، وما لا نُريد فِعْله تهاونًا وكسلاً مثل ما نُريده أو أكثر منه أو دونه، وما لا نَقدِر عليه مما نريده لذلك، وما نعرف جملتَه ولا نهتدي لتفاصيله أمرٌ يفوت الحصر، ونحن محتاجون إلى الهداية التامَّة، فمَن كَمُلت له هذه الأمور كان سؤالُ الهداية له سؤالَ التثبيت والدوام.**

**إنَّ قلوبكم بين أُصبعين من أصابعِ الرحمن، يُصرِّفها كيف يشاء؛ عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: سمعتُ رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يقول: ((إنَّ قلوب بني آدم كلَّها بين أُصبعين من أصابع الرحمن، كقَلْب واحد، يُصرِّفه كيف يشاء))، وفي حديث آخرَ يصوِّر - صلَّى الله عليه وسلَّم - شدَّة تقلُّب قلْب العبد تصويرًا دقيقًا، يورث المسلم الخوفَ والوجل، والشعور بالحاجة إلى تثبيت الله وعونه؛ عن المقداد بن الأسود - رضي الله عنه -: أنَّ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((لَقلبُ ابن آدم أشدُّ تقلبًا من القِدْر إذا استجمعتْ غليانًا))؛ رواه أحمد وغيرُه، ولقد كان المقداد - رضي الله عنه - يقول: ما آمَنُ على أحد بعدَ الذي سمعتُ من رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم.**

**إذا كانتِ القلوب بهذه المنزلة، وكانت الهدايةُ يعتريها ما يعتري سائرَ النِّعم، وجَبَ على المسلم العنايةُ بها، والمحافظة عليها، والثبات على طريقها، ألاَ وإنَّ من أهم أسباب حصولِ الثبات على الحق والهدى: الشُّعورَ بالفقر إلى تثبيت الله – تعالى - وذلك أنَّه ليس بنا غِنًى عن تثبيته - سبحانه - لنا طَرْفة عين؛ قال الله - سبحانه - مخاطبًا خيرَ خَلْقه وأكرمهم عليه: {وَلَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً} وقال - سبحانه - لأكرم خلقه: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلاَئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آَمَنُوا...}**

**يقول ابن سعدي - رحمه الله -: "وفي هذه الآياتِ دليلٌ على شدَّة افتقار العبد إلى تثبيت الله إيَّاه، وأنَّه ينبغي له ألاَّ يزال متملقًا لربِّه أن يثبته على الإيمان، ساعيًا في كلِّ سبب موصل إلى ذلك؛ لأنَّ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - وهو أكملُ الخلق قال الله له: {وَلَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً}، فكيف بغيره - صلَّى الله عليه وسلَّم؟!" ا.هـ.**

**من العوامل المعِينة على الثبات بعدَ الهداية: التقرُّب إلى الله بالأعمال الصالحة، فالنتائجُ لا تخالف مقدِّماتِها، والمسببات مربوطةٌ بأسبابها، وسُنن الله ثابتة لا تتغيَّر، ولن تجد لسُنة الله تبديلاً، ولقد تكرَّر في القرآن جَعْل الأعمال القائمة بالقلْب، والجوارح سببًا للهداية والإضلال، فيقوم بالقلب والجوارح أعمالٌ تقتضي الهُدَى اقتضاءَ السبب لمسببه، والمؤثِّر لأثره، وكذلك الضلال، فأعمال البِرِّ تثمر الهدى، وكلَّما ازداد منها ازداد هدًى، وأعمالُ الفجور بالضد، والله - سبحانه - يحبُّ أعمال البِرّ، فيجازي عليها بالهُدَى والفلاح، ويُبغض أعمالَ الفجور، ويجازي عليها بالضلال والشقاء.**

**إنَّ الأعمال الصالحة لا تقتصر على الأعمالِ الظاهرة مِن كثرة التعبُّد، وطول الصلاة، والصيام فقط، ولكنَّها تشمل الظاهرةَ والباطنةَ؛ ولهذا جعل النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - عواملَ ذَوْق لذَّة الإيمان وحلاوته أمورًا قلبيَّة، فقال: (ثلاثةٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ بهنَّ حلاوةَ الإيمان: أن يكون اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرءَ لا يحبُّه الله، وأن يكره أن يعود في الكُفْر كما يكره أن يُقذَف في النار) أخرجه الشيخان. يقول ابن الجوزي - رحمه الله -: "اعلم أنَّ الطريق الموصلة إلى الله - سبحانه - ليستْ مما يُقطَع بالأقدام، وإنَّما يُقطَع بالقلوب"، ويقول أيضًا - رحمه الله -: "اللهَ الله بالسرائر، فإنَّه ليس ينفع مع فسادِها صلاحٌ ظاهر".**

**إنَّ العلم والإيمان إذا اجتمعَا في قلب عبد حقًّا، فلا يمكن أن ينكصَ على عقبيه؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "إنَّ الإنسان قد يؤتَى إيمانًا مع نقْص علمِه، ومثل هذا الإيمان قد يُرفع مِن صدره، كإيمان بني إسرائيل لَمَّا رأَوا العجل، وأمَّا مَن أوتى العلم مع الإيمان، فهذا لا يُرفع من صدره، ومثل هذا لا يرتدُّ عن الإسلام قطُّ، بخلاف مجرَّد القرآن، أو مجرَّد الإيمان، فإنَّ هذا قد يرتفع، وهذا هو الواقع، وأكثرُ ما نجد الرِّدة فيمَن عنده قرآن بلا عِلم وإيمان، أو مَن عنده إيمان بلا عِلم وقرآن، فأمَّا مَن أوتي القرآن والإيمان، فحصل فيه العلم، فهذا لا يُرفع مِن صدره".**

**العلم ليس بمقدار ما يحفظه المرءُ من مسائلَ وأحكام، بل العلمُ - كما يقول الحسن البصريُّ - علمان: عِلم في القلْب، وعلم على اللِّسان، فعِلم القلب هو العلم النافع، وعلم اللِّسان حُجَّة الله على عباده. قال ابن الجوزي : "لقد سَبرتُ السَّلف كلَّهم، فأردتُ أن أستخرج منهم مَن جمع بين العِلم حتى صار من المجتهدين، وبين العمل حتى صار قُدوة للعابدين، فلم أرَ أكثرَ من ثلاثة: أوَّلهم الحسن البصري، وثانيهم سفيان الثوري، وثالثهم أحمد بن حنبل. فَتَشَبَّهُوا إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ \*\*\*\* إِنَّ التَّشَبُّهَ بِالْكِرَامِ فَلاَحُ (1)**

**\*مراتب الهداية في القرآن الكريم**

**يَسبِق إلى أفهام كثيرٍ من النَّاس أن الله - سبحانه وتعالى - اختَصَّ عبادَه بالهداية، وحرَم آخَرين حقًّا من حُقوقِهم، ولو أراد الله أن يهدِيَهم لهداهم، بل يحتَجُّون بالقدر لما يصدر عنهم من كفر أو معصية أو تقصير، زاعِمين أن مَشِيئة الله نافذة وغالبة، بل يحتَجُّون على تَواكُلهم وتَقصِيرهم عن الواجب وتغيير ما بأنفسهم بآيات من القرآن الكريم يقطعونها من سياقها ولا يفهمون معناها؛ من ذلك قول الله - تعالى - : ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: 17]، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: 13]، وهذا مصدر خطأ كبير في فَهْمِ مسألة سبْق القضاء بالهداية والضَّلاَل، والقرآن يُوضِّح لنا ما في هذه القضيَّة من لبس حين نَعرِف أنَّ الهداية الوارِدَة في القرآن الكريم على أنواع.**

**وهذه المسألة - مسألة الهُدَى والضَّلال - هي قلب أبواب القدر ومسائله، فإن أفضل ما يقدره الله للعبد هو الهُدَى؛ فهو من أعظم النِّعَم، وأعظم ما يبتَلِيه به ويقدره عليه هو الضَّلال، وقد اتَّفقَتْ رسل الله جميعًا وكذلك** **كتبه المنزلة على أن الله يُضِلُّ مَن يشاء ويهدي مَن يشاء ، فالهدى والإضلال بيده لا بيد العبد،**

**==============================================**

**(1)الأنترنت ـ موقع الألوكة ـ الشيخ أحمد الفقيهي**

**أمَّا طلب الهداية والسعي إليها من طلب العبد وكسبه.**

**لذلك كان من الضروري ذكر مَراتِب الهداية كما وردَتْ في القرآن الكريم، وتتلخَّص في أربع مَراتِب، هي:**

**1 - الهداية العامَّة. 2 - هداية الدلالة والبيان، والإرشاد والتعليم.**

**3 - هداية التوفيق والمعونة. 4 - الهداية إلى الجنَّة والنَّار يوم القيامة.**

**المرتبة الأولى: الهداية العامَّة:**

**وهي هداية عامَّة لجميع الكائنات، فالله قد هَدَى كلَّ نفس إلى ما يُصلِح شأنها ومعاشها، وفطَرَها على جلب النافع، ودفع الضارِّ عنها، وهذه أعمُّ مَراتِب الهداية.**

**والله - عزَّ وجلَّ - يقول: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى \* الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى \* وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ وفيها ذَكَرَ الله أربعة أمور عامَّة وهي: الخلق، والتسوِيَة، والتقدير، والهداية، وجعَلَ التسوِيَة من تَمام الخلق، والهداية من تَمام التقدير، وبذلك تَكُون التسوِيَة والهداية كمالَيْن للخلق والتقدير؛ ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: 7].**

**فالخلق والتسوِيَة يشمَل الإنسان وغيره؛ ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ، ومن أمثلة ومعاني الهداية العامَّة الخاصَّة بالتسوِيَة والتقدير للمخلوقات عامَّة: الإنسان والحيوان، والطير والدوابُّ، فإن الله قد خَلَقَ الذكر والأنثى، فهَدَى الذكر للأُنثَى كيف يأتِيها، واختِلاف ذُكران الحيوان لإناثه مُختَلِف لاختِلاف الصور والخلق والهيئات، فلولا أنه - سبحانه - جعَلَ كلَّ ذكر على معرفة كيف يأتي أنثى جِنسِه لما اهتَدَى لذلك، أو هَداه لِمَعاشِه ومَرعَاه، وكذلك تقديره - سبحانه - للجَنِين في الرَّحِم ثم هَداه للخُروج.**

**وأنواع الهداية كثيرةٌ لا يُحصِيها إلا الله؛ مثل: هداية النحل إلى سلوك السُّبُل التي فيها مَراعِيها على تبايُنِها واختلافها، ثم عودها إلى بيوتها من الشجر والجبال وما يعرش بنو آدم؛ ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ، وكذلك هدايته - سبحانه - للنملة كيف تخرج من بيتها وتطلُب قُوتَها من هنا وهناك، وكيف خاطبَتْ أصحابها، وأمرَتْهم بأن يدخلوا مساكنهم؛ ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: 18].**

**وهذه الحقيقة الكُبرَى ماثِلَة في كلِّ شيء في هذا الوجود يشهَد لها كلُّ شيء في الوجود من الكبير إلى الصغير، كلُّ شيء مُسَوى في صنعته، كامل في خلقته، مُعَدٌّ لأداء وظيفته، مُقَدَّر له غايته ووجوده، وهو مُيَسَّر لتَحقِيق هذه الغايَة من أيسر طريق، وجميع الأشياء مُجتَمِعة كاملة التناسُق مُيَسَّرة لكي تُؤَدِّي في تجمُّعها دورها الجماعي مثلما هي مُيَسَّرة فُرادَى لكي تُؤَدِّي دورها الفردي، وهذا واضح في الكون المشهود في الذرَّة المفردة والمجموعة الشمسية، كذلك بين الخلية الواحدة وأعطى الكائنات الحيَّة درجات من التنظيمات والتركيبات تدلُّ على الكمال الخلقي والتدبير والتقدير.**

**هذه الحقيقة العميقة الشاملة لكلِّ ما في الوجود يُدرِكها الإنسان ببَصَرِه وبَصِيرته، وبعلمه وملاحظته وتجربته، ويستَطِيع البشر من خِلال العالَم المشهود أن يَتَعرَّف على تسوِيَة الله وهدايته من خلال عالَم النبات والحشرات والطيور والحيوان: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ [الملك: 3]، لكن إن وُجِدَ شيءٌ من التفاوُت وعدم التسوِيَة كالصَّمَم والعَمَى، والخرس والبكم، فهذا يَرجِع إلى عدم إرادة الخالق لهذه التسوِيَة؛ لأن التسوِيَة أمر وجودي مخلوق يَرتَبِط بمشيئة الله وإرادته مُتَعلِّق بالتأثير والإبداع.**

**ومن هذه الآية يَتَّخِذ بعض المعتزلة كالقاضي عبد الجبار (ت: 415هـ) دليلاً على أن الله لم يخلق الباطل لأنه مُتفاوِت، وكذلك لم يخلق الكفر والظلم؛ لأن هذا يَتَنافَى مع حُسْنِ الصنعة والإتقان، والله - تعالى - يقول: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: 88].**

**وللإجابة عن هذا الفَهْمِ يتلخَّص في الآتي:**

**1 - أنَّ القاضي عبدالجبار قد اقتَطَع الآية من سِياقها، وأخذ جزءًا منها ليستدلَّ بها على مذهبه، وغفل عن بقية الآية.**

**2- أنَّ الآيات التي استدلَّ بها من الواضِح أنها نزلَتْ في غير أفعال العِباد، وأنَّ المقصود نفي التفاوُت عن خلق السموات السبع؛ ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: 3]، وأن الآية الأخرى - آية النمل - إنما تتحدَّث عن إتقان الجبال لا خلق الأفعال.**

**3 - أنَّ القاضي قد ترك آيات كثيرة صريحة ومُحكَمة تدلُّ على خِلاف مذهبه؛ مثل قوله: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: 96]، ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: 62].**

**ومن أثر هذه الهداية الفطرية أنها قادَتْ كلَّ كائن إلى الاعتِراف برَبِّه وذكره؛ قال - تعالى - : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: 44].**

**وهذا النوع من الهداية - العامَّة الفطريَّة - مُقتَرِنة بالخلق في الدلالة على الربِّ - تبارَك وتعالى - وأسمائه وصفاته وتوحيده؛ ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: 50]، وهذا نظير قوله: ﴿قَدَّرَ فَهَدَى﴾، وهذا الخلق وهذه الهداية من آيات الربوبية والوحدانية، ومن المُلاحَظ أنَّ الجمع بين الخلق والهداية العامَّة قد جاء في القرآن كثيرًا. ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1 - 5]، ﴿الرَّحْمَنُ \* عَلَّمَ الْقُرْآنَ \* خَلَقَ الإِنْسَانَ \* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: 1 - 4]، ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ \* وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ \* وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ \* فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد: 8 - 11]، ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: 63].**

**فالخلق إعطاء الوجود العيني الخارجي، والهُدَى إعطاء الوجود العلمي الذهني، فهذا خلَقَه وهذا هَدَاه وعلّمه، وكلها عامَّة فيما خلَقَه الله.**

**المرتبة الثانية: هداية الدلالة والبيان والإرشاد:**

**وهذا النوع هو وظيفة الرسل والكتب المنزلة من السماء، وهو خاصٌّ بالمكلَّفين، وهذه الهداية هي التي أثبَتَها لرسوله - صلَّى الله عليه وسلَّم – بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52]، كما أنَّ هذا النوع من الهداية أخصُّ من التي قبلها، فهي مصدر التكليف ومَناطُه، وبها تقوم حُجَّة الله على عِباده؛ فإن الله - تعالى - لا يُدخِل أحدًا النار إلا بعد إرسال الرسل الذين يُبيِّنون للناس طريق الغيِّ من الرشاد: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: 15]، ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: 57]، ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 165]، يقول ابن كثير: "أي: إنه - تعالى - أنزَلَ كتبه وأرسَلَ رسله بالبشارة والنذارة، وبيَّن ما يحبُّه ويَرضاه ممَّا يكرهه ويأباه؛ لئلاَّ يبقى لمُعتَذِر عذر؛ ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [طه: 134].**

**وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود - رضِي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - : ((... لا أحد أحب إليه العذر من الله؛ من أجل ذلك بعَثَ النبيِّين مُبَشِّرين ومُنذِرين)). والله - تعالى - لم يمنع أحدًا هذه الهداية، ولم يَحُلْ بين أحدٍ من خلقه وبين هذه الهداية، بل خلَّى بينهم وبينها، ومَنَحَهم من الوَسائل والأدوات التي تُساعِدهم على تقبُّلها والاستِفادة بها؛ كالعقل والفطرة، وأقام لهم بذلك أسباب الهداية ظاهرة وباطنة، ومَن حرَمَه من خلقه بعضًا من هذه الأدوات والوسائل؛ كزوال العقل أو الصِّغَر أو المرض - فقد حطَّ عنه من التكاليف بحسب ما حرَمَه من ذلك؛ قال - تعالى - : ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: 61]، وقال - صلَّى الله عليه وسلَّم - : ((رُفِع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستَيقِظ، وعن الصبي حتى يَبلُغ، وعن المجنون حتى يفيق))، كما اتَّفق رِجال الأصول على أنه: "إذا أخَذَ ما وهب انقَطَع ما وجب".**

**وهذه الهداية لا تستَلزِم حُصُول التوفيق واتِّباع الحقِّ من العِباد؛ بدليل أنَّ بعض الناس آمَن بدعوة الرسل وبعضهم كفر بها، ولكنَّها سبب في حصول الاهتِداء، والسبب هنا قد اكتَمَل بإرسال الرسل ووصول دعوة وبلاغ الرسل إلى أُمَمِهم، فلا نقص إذًا في السبب، إنما النقص يرجع إلى العبد الذي لم يَقبَل ولم يَنتَفِع بما جاءَتْ به الرسل بسب فساد الفطرة وطغيان المادة؛ قال - تعالى - : ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت: 17]، ﴿هديناهم﴾؛ أي: بَيَنَّا لهم ودعوناهم، فاستحبُّوا العَمَى على الهدى؛ أي: بصَّرناهم وبيَّنَّا ووضَّحنا لهم الحقَّ على لسان نبيِّهم صالح، فخالَفُوه وكذَّبُوه وعَقَروا ناقة الله - تعالى - التي هي برهان على صدق نبيِّهم، فعدم الاهتِدَاء واقِعٌ بسبب القُصُور الحادِث في المحلِّ القابِل للأثر وهو الإنسان، وليس في قُصُور السبب، فكانت النتيجة أنْ أضلَّهم الله عقوبة على ترْك الاهتِداء وعدم الاستِجابة لما جاءَتْ به الرسل.**

**وهذا شأن الله في كلِّ نعمة أنعَمَ بها على عباده إذا كفروا؛ فإنه يسلبها منهم بعد أن كانَتْ حظًّا لهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 53]، والقرآن الكريم قد قصَّ علينا ما كان من الأُمَم التي أرسل الله إليها رسلاً فلم تستَفِد بهَديِهم؛ فقال يصف حالهم في نار جهنم: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ \* قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك: 8 - 9]، فالذي حدث من الله هو الهداية، وكان من العبد التكذيب والضلال، رغم أنه كان في مَقدُورِه أن يَتَّبِع الرسول ويُؤمِن بما جاء به، وليس ذلك شيئًا خارجًا عن قدرته أو فوق طاقته، ففي مثل هذه الحالة فإن الله يُخلِّي بين العبد ونفسه، والنفس بطبعها أمَّارة بالسوء إلا ما رحم ربي، فإذا وُكِل الإنسان إلى نفسه قادَتْه إلى الهلاك، وهو بذلك يكون قد قُطِع عنه تَوفِيقُه، ولم يُرِد الله أن يُعِينَه على نفسه ليُقبِل العبد بقلبه إلى الله، وهو - سبحانه - إذا فعَل ذلك بأحدٍ من خلقه فليس ظالمًا؛ لأنه لم يسلبه حقًّا له، ولم يمنعه من الدلالة أو البيان، وهذا في مَقدُور العبد فعله، ولكنَّه حرَمَه التوفيق والسداد عدلاً منه في خلقه.**

**المرتبة الثالثة: هداية التوفيق والإلهام والمعونة:**

**وهذه المرتبة أخصُّ من التي قبلها، فهي هداية خاصَّة تأتي بعد هداية البيان؛ تحقيقًا لقوله - تعالى - : ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: 76]، فلا تكون لملك مُقرَّب ولا نبي مُرسَل، إنما هي خاصَّة بالله وحدَه، فلا يقدر عليها إلا هو، ولا يُعطِيها إلا لِمَن حقَّق شروطها واستَوفَى أسبابها.**

**﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهذا النوع من الهداية هو الذي نَفَاه الله عن نبيِّه - صلَّى الله عليه وسلَّم - : ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: 56]، ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [النحل: 37].**

**وهذا النوع من الهداية يستَلزِم أمرَيْن:**

**أحدهما: فعل الربِّ - تعالى - وهو الهدى بخلق الداعية إلى الفعل والمشيئة له.**

**الثاني: فعل العبد، وهو الاهتِداء وهو نتيجة للفعل الأول "الهدى"؛ قال - تعالى - : ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ﴾ ، ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ ، ولا سبيل إلى وجود الأثر الذي هو الاهتِداء من العبد إلا بعد وجود المؤثِّر الذي هو الهداية من الله، فإذا لم يحصل فعل الله لم يحصل فعل العبد، وهذا النَّوْعُ من الهداية لا يقدر عليه أحدٌ إلا الله - سبحانه - قال أهل الجنة: "الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله".**

**كما أنَّ هذا النوع من الهداية هو الذي نَفَاه القرآن عن الظالمين والفاسقين والكاذبين والمسرفين المرتابين، وكلُّ آية في القرآن وردَتْ في نفي الهُدَى فيجب حملها على هذا النوع ؛ لأن هذا فضله يختصُّ به مَن يشاء من عباده، ولا حرج في ذلك.**

**المرتبة الرابعة: مرتبة الهداية إلى الجنة والنار يوم القيامة:**

**وهذه المرتبة - وهي آخِر مَراتِب الهداية - وهي الهداية يوم القيامة إلى طريق الجنة، وهو الصراط المُوصِل إليها، فمَن هُدِي في هذه الدار الدنيا إلى صراط الله المستقيم الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه، هُدِي يوم القيامة إلى الصراط المستقيم، المُوصِل إلى جنَّته ودار ثوابه، وعلى قدر ثُبُوت قدم العبد وسَيْرِه على هذا الصراط الذي نصَبَه الله لعباده في هذه الدار الدنيا، يكون ثُبُوت قدمه وسيره على الصراط المنصوب على متْن جهنم؛ قال - تعالى - : ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ \* مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: 22 - 23]، ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ \* سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ \* وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: 4- 6]، فهذه هداية بعد قتلهم؛ ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾؛ أي: إلى الجنة، وذلك يفسِّره قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس: 9]، ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾؛ أي: أمرَهم وحالَهم ويَعصِمهم أيَّام حياتهم في الدنيا، ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾؛ أي: عرَّفهم بها وهداهم إليها.. (1)**

**=================================**

**(1)الأنترنت ـ موقع الألوكة ـ محمد فتحي حسان**

**\*الفرق بين هداية الله وهداية رسول الله**

**كيف نجمع بين قوله تعالى : ( إنك لا تهدي من أحببت ) وبين قوله : ( وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ) ؟. خلق الله الإنسان وزوده بالعقل وأنزل لأجله الوحي وأرسل إليه الرسل ودعاه إلى الحق وحذره من الباطل ثم تركه يختار ما يريد ( وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ) الكهف/29 .**

**وقد أمر الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يبين الحق للناس كافة ولهم الخيار فيما يرغبون فمن أطاع نفع نفسه ومن عصى ضر نفسه كما قال سبحانه : ( قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ) يونس/108 .**

**والإسلام دين الفطرة دين العقل والفكر وقد بين الله الحق من الباطل و أمر بكل خير وحذر من كل شر وأحل الطيبات وحرم الخبائث ولا إكراه في الدين لأن المصلحة أو المفسدة تعود إلى الخلق لا إلى الخالق ، قال تعالى : ( لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ) البقرة/256 .**

**وقال سبحانه ( من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ) فصلت/46 .**

**والهداية بيد الله ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً , فإنه سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض , ولا في السماء و لا يجري في ملكه إلاّ ما يريد ( قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ) الأنعام/149 ، ولكن حكمته سبحانه , اقتضت أن يخلقنا مختارين وينزل علينا الهدى والفرقان فمن أطاع الله ورسوله دخل الجنة ومن عصى الله ورسوله دخل النار كما قال سبحانه : ( قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ) الأنعام/104 .**

**وليس للرسول صلى الله عليه وسلم من الهداية شيء وإنما عليه وعلى المسلمين البيان والبلاغ والدلالة على الهدي وعدم الإكراه عليه كما قال سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم : ( ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ) يونس/99 .**

**وقال سبحانه ( وما على الرسول إلا البلاغ المبين ) العنكبوت/18 .**

**والهداية إلى الحق بيد الله وحده وليس لأحد من البشر فيها من نصيب كما قال سبحانه لرسوله عليه الصلاة والسلام ( إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ) القصص/56 .**

**والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وقد أخبرنا سبحانه أنه يهدي من أطاعه , وأقبل عليه كما قال سبحانه : ( والذين اهتدوا زادهم هدىً وآتاهم تقواهم ) محمد/17**

**ومن عصى الله , وأعرض عنه , فإن الله لا يهديه كما قال سبحانه : ( إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ) الزمر/3 .**

**والله بكل شيء عليم يعلم ما كان , وما يكون , وما سيكون وقد علم الله المؤمنين والكافرين وأعمالهم , ومصيرهم في الآخرة وكتب ذلك كله في اللوح المحفوظ كما قال سبحانه : ( وكل شيء أحصيناه كتاباً ) النبأ/29 .**

**وقد خلق الله الإنسان مختاراً وخلقه صالحاً للعمليتين الإيمان أو الكفر كما قال سبحانه : ( إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ) الإنسان/3 .**

**والإنسان يكون مختاراً في دائرة العقل فقط فإذا فقد العقل الذي يميز به البدائل بين الخير والشر بين الحق والباطل , ارتفع التكليف ولذلك رفع القلم في الشريعة الإسلامية عن المجنون حتى يفيق , وعن الصبي حتى يدرك , وعن النائم حتى يستيقظ فلا تكليف على أحد من هؤلاء حتى يجد العقل الذي يميز به البدائل كالإيمان والكفر والحق والباطل وهكذا .وحيثما اتجهت النفس كان الثواب والعقاب فإن أطاعت فلها الجنة ( قد أفلح من زكاها ) وإن عصت فلها النار ( وقد خاب من دساها )**

**والتوجه إلى أحد الطريقين هو محل الحساب عند رب العالمين ، وبهذا يتبين أن الإيمان والكفر والطاعة والمعصية باختيار العبد وقد جعل الله الثواب والعقاب على هذا الاختيار : ( من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد )**

**فمن أحب الله ورسوله ورغب في السعادة في الدنيا والآخرة فليدخل في الإسلام ومن رغب عن ذلك ورضى بالدنيا عن الآخرة ولم يسلم فمأواه جهنم فالمنفعة للإنسان والمضرة عليه ولا إكراه على أحدهما كما قال سبحانه : ( إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً ) الإنسان/29 . (1)**

**\*الهداية من الله والأسباب من العباد التوفيق والهداية بيد الله عز وجل ، من شاء الله أن يهديه هداه ، ومن شاء أن يضله أضله ، قال الله تعالى : ( ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ ========================================**

**(1)الأنترنت ـ موقع الدرر السنية ـ من كتاب أصول الدين الإسلامي للشيخ محمد بن إبراهيم التويجري .**

**فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ) الزمر/73 ، وقال جل وعلا : ( مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) الْأَنْعَامِ/59 ، وقال سبحانه : ( مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ) الْأَعْرَافِ/178 .**

**والمسلم يدعو في صلاته : ( اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ) الفاتحة/6 . لعلمه أن الهداية بيد الله تعالى ، ومع ذلك ؛ فالعبد مطالب بالأخذ بأسباب الهداية ، مُطالَب بالصبر والثبات والبدء بطريق الاستقامة ، فقد وهبه الله عز وجل عقلا منيرا ، وإرادة حرة ، يختار بها الخير من الشر ، والهدى من الضلال ، فإذا بذل الأسباب الحقيقية ، وحرص على أن يرزقه الله الهداية التامة جاءه التوفيق من الله تعالى . قال تعالى : ( وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ) الْأَنْعَام/153 .**

**وقد أطال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في بيان هذه المسألة التي تشكل على بعض الناس ، فقال : إن الله تبارك وتعالى إنما يهدي من كان أهلاً للهداية ، ويضل من كان أهلاً للضلالة ، ويقول الله تبارك وتعالى : ( فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ) الصف/5 ، ويقول تعالى : ( فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ) المائدة/13 . فبين الله تبارك وتعالى أن أسباب إضلاله لمن ضل إنما هو بسبب من العبد نفسه ، والعبد لا يدرى ما قَدَّر الله تعالى له ، لأنه لا يعلم بالقدر إلا بعد وقوع المقدور . فهو لا يدري هل قدر الله له أن يكون ضالا أم أن يكون مهتديا ؟ فما باله يسلك طريق الضلال ، ثم يحتج بأن الله تعالى قد أراد له ذلك ! أفلا يجدر به أن يسلك طريق الهداية ثم يقول : إن الله تعالى قد هداني للصراط المستقيم .**

**أيجدر به أن يكون جبريا عند الضلالة ، وقدريا عند الطاعة ! كلا ، لا يليق بالإنسان أن يكون جبريا عند الضلالة والمعصية ، فإذا ضل أو عصى الله قال : هذا أمر قد كُتب علي وقُدِّر علي ولا يمكنني أن أخرج عما قضى الله تعالى .**

**فالإنسان في الحقيقة له قدرة وله اختيار ، وليس باب الهداية بأخفى من باب الرزق ، والإنسان كما هو معلوم لدى الجميع قد قُدِّر له ما قُدِّر من الرزق ، ومع ذلك هو يسعى في أسباب الرزق في بلده وخارج بلده يميناً وشمالاً ، لا يجلس في بيته ويقول : إن قُدِر لي رزق فإنه يأتيني ، بل يسعى في أسباب الزرق مع أن الرزق نفسه مقرون بالعمل ، كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم .**

**فهذا الرزق أيضا مكتوب ، كما أن العمل من صالح أو سيئ مكتوب ، فما بالك تذهب يمينا وشمالاً وتجوب الأرض والفيافي طلباً لرزق الدنيا ، ولا تعمل عملا صالحا لطلب رزق الآخرة والفوز بدار النعيم !!**

**إن البابين واحد ، ليس بينهما فرق ، فكما أنك تسعى لرزقك وتسعى لحياتك وامتداد أجلك ، فإذا مرضت بمرض ذهبت إلى أقطار الدنيا تريد الطبيب الماهر الذي يداوي مرضك ، ومع ذلك فإن لك ما قُدِّر من الأجل لا يزيد ولا ينقص ، ولست تعتمد على هذا وتقول : أبقى في بيتي مريضاً طريحاً وإن قدّ ر الله لي أن يمتد الأجل امتد . بل نجدك تسعى بكل ما تستطيع من قوة وبحث لتبحث عن الطبيب الذي ترى أنه أقرب الناس أن يُقَدِّر الله الشفاء على يديه . فلماذا لا يكون عملك في طريق الآخرة وفى العمل الصالح كطريقك فيما تعمل للدنيا ؟**

**وقد سبق أن قلنا : إن القضاء سر مكتوم لا يمكن أن تعلم عنه . فأنت الآن بين طريقين :**

**طريق يؤدى بك إلى السلامة وإلى الفوز والسعادة والكرامة .وطريق يؤدى بك إلى الهلاك والندامة والمهانة . وأنت الآن واقف بينهما ومخير ، ليس أمامك من يمنعك من سلوك طريق اليمين ، ولا من سلوك طريق الشمال ، إذا شئت ذهبت إلى هذا ، وإذا شئت ذهبت إلى هذا . بهذا تبين لنا أن الإنسان يسير في عمله الاختياري سيراً اختيارياً ، وأنه كما يسير لعمل دنياه سيراً اختيارياً ، فكذلك أيضا هو في سيره إلى الآخرة يسير سيراً اختيارياً ، بل إن طرق الآخرة أبين بكثير من طرق الدنيا ؛ لأن مبين طرق الآخرة هو الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . فلا بد أن تكون طرق الآخرة أكثر بيانا وأجلى وضوحا من طرق الدنيا . ومع ذلك فإن الإنسان يسير في طرق الدنيا التي ليس ضامنا لنتائجها ، ولكنه يدع طرق الآخرة التي نتائجها مضمونة معلومة ؛ لأنها ثابتة بوعد الله ، والله تبارك وتعالى لا يخلف الميعاد .**

**بعد هذا نقول : إن أهل السنة والجماعة قرروا هذا ، وجعلوا عقيدتهم ومذهبهم أن الإنسان يفعل باختياره ، وأنه يقول كما يريد ، ولكن إرادته واختياره تابعان لإرادة الله تبارك وتعالى ومشيئته . ثم يؤمن أهل السنة والجماعة بأن مشيئة الله تعالى تابعة لحكمته ، وأنه سبحانه وتعالى ليس مشيئته مطلقة مجردة ، ولكنها مشيئة تابعة لحكمته ؛ لأن من أسماء الله تعالى الحكيم ، والحكيم هو الحاكم المحكم الذي يحكم الأشياء كوناً وشرعاً ، ويحكمها عملاً وصنعاً ، والله تعالى بحكمته يقَدِّر الهداية لمن أرادها ، لمن يعلم سبحانه وتعالى أنه يريد الحق ، وأن قلبه على الاستقامة . ويقَدِّر الضلالة لمن لم يكن كذلك ، لمن إذا عرض عليه الإسلام يضيق صدره كأنما يصعد في السماء ، فإن حكمة الله تبارك وتعالى تأبى أن يكون هذا من المهتدين ، إلا أن يجدد الله له عزماً ويقلب إرادته إلى إرادة أخرى ، والله تعالى على كل شيء قدير ، ولكن حكمة الله تأبى إلا أن تكون الأسباب مربوطة بها مسبباتها " انتهى**

**هكذا يفهم المسلم قضية الإيمان بالقضاء والقدر مع قضية العمل الذي كلف به الإنسان ، وترتب عليه سعادته أو شقاؤه ، فالهداية ودخول الجنة سببها العمل الصالح . قال الله تعالى عن أهل الجنة : ( وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) الأعراف/43 ، وقال تعالى : ( ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) النحل/32 . والضلال ودخول النار سببه العمل بمعصية الله والإعراض عن طاعته ، قال الله تعالى عن أهل النار : ( ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ) يونس/52 ، وقال تعالى : ( وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ )**

**وحينئذ يضع المسلم خطوته الأولى في الطريق الصحيح ، فلا يضيع لحظة واحدة بغير عمل أو سعي في طريق الله عز وجل ، وفي الوقت نفسه ، يتواضع لربه ، ويدرك أنه عز وجل بيده مقاليد السماوات والأرض ، فيستشعر الفقر إليه دائما وأبدا ، والحاجة إلى توفيقه وتسديده .والله أعلم . (1)**

**\*الهداية والرزق بيد الله**

**قال الله تعالى: (يا عبادي! كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي! كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم).**

**=====================================**

**(1) موقع الإسلام سؤال وجواب ، رسالة في القضاء والقدر " لابن عثيمين (ص14-21) .**

**الهداية بيد الله، والرزق بيد الله، هو الذي يرزق العباد ويطعمهم ويسقيهم ويكسوهم، خلق الماء، والأرض، والبذر، والشجر، والحيوان، فإذا منع ذلك كله، فمن أين تأكل؟ ومن أين تشرب؟ ومن أين تُكسى؟ قال الله تبارك وتعالى: الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ \* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ \* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ \* وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ \* وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ [الشعراء:78-82] .**

**فهذا هو ربكم تبارك وتعالى فاسألوه وحده، فبيده الهداية والرزق، وبيده الموت والحياة، والعباد عبيد مربوبون مقهورون، وأمرهم بيد الله تبارك وتعالى، وأمر الله فيهم ماض، فالخلق والأمر لله تبارك وتعالى، والرزق منه تبارك وتعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ [فاطر:15] (أنتم الفقراء إلى الله) تأتون ضعفاء، وتذهبون ضعفاء، وتعيشون ضعفاء، وإن كانت خزائنكم ملأى بالمال لكنكم ضعفاء.**

**فالغني الذي لا يفتقر أبداً هو الحي القيوم الذي لا تنتهي حياته، ولا ينتهي وجوده، (أنتم الفقراء إلى الله) تحتاجون إلى هدايته ورزقه وعونه وتأييده وتوفيقه، فعليه فتوكلوا، وإليه فاجأروا، ووحده فاسألوا.(1)**

**\*إنك لا تهدي من أحببت**

**لو تفحص العاقل نعم الله عليه ­ ولن يحصيها عدا ­ فلن يجد أعظم نعمة من نعمة =======================================**

1. **الأنترنت ـ موقع إسلام ويب ـ قاله عمر الأشقر**

**الهداية٬ قال ابن القيم: «فإن أفضل ما يقدر الله بعبده وأجل ما يقسمه له (الهدى)٬ وأعظم ما يبتليه به ويقدره عليه (الضلال)٬ وكل نعمة دون**

**نعمة الهدى٬ وكل مصيبة دون مصيبة الضلال»٬ ولهذا قال عز وجل: {يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين}.**

**ومن عظمة الهداية أن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة ورأوا ما فيها من أنواع النعيم فإن أول ما يقولونه: {الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله}٬ وأعظم ما يتحسر عليه المفرط حين يرى العذاب أنه لم يكن من المهتدين كما قال تعالى: {أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لوأن الله هداني لكنت من المتقين}**

**وقال[: «كل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول : لولا أن الله هداني٬ فيكون له شكرا٬ وكل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول: لو أن الله هداني٬ فيكون عليه حسرة». أخرجه أحمد والحاكم. وقد ذكر الله عز وجل في مواضع كثيرة من كتابه أن الهدى والضلال بيده سبحانه وتعالى فقال: {من يهد الله فهو المهتِد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا}٬ وهذَا من عظمته وكمال تفرده بالخلق والتدبير أنه يصطفي من يشاء من عباده فيوفقه للخير وهذا من فضله كما قال عز وجل في الحديث القدسي: «يا عبادي كلكم ضال إلا**

**من هديته فاستهدوني أهدكم». وقد يشكل على بعض الأفهام آيتان قرآنيتان تثبت إحداهما الهداية لرسول الله[**

**والأخرى تنفيها عنه٬ فالآية الأولى قوله تعالى: {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم}٬ والأخرى قوله تعالى: {إنك لا تهدي من أحببت}.**

**قال الشيخ ابن سعدي: «يخبر تعالى أنك يا محمد ­ وغيرك من باب أولى­ لا تقدر على هداية أحد٬ ولو كان من أحب الناس إليك٬ فإن هذا أمر غير مقدور للخلق هداية التوفيق٬ وخلق الإيمان في القلب٬ وإنما ذلك بيد الله سبحانه تعالى٬ يهدي من يشاء٬ وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه٬ ممن لا يصلح لها فيبقيه على ضلاله.(1)**

**\*أسباب الهداية**

**قال الشيخ ابن باز : الهداية لها أسباب منها سؤال الله والضراعة إليه في طلب الهداية وطلب التوفيق وانشراح الصدر للحق، الله يقول: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ }(60) سورة غافر ، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول عن الله -جل وعلا-أنه قال: (استهدوني أهدكم), فالإنسان يسأل ربه أن يهديه ويشرح صدره للحق ويعينه على طاعته وطاعة رسوله -عليه الصلاة والسلام- هذا من أعظم الأسباب، الضراعة إلى الله وسؤاله -جل وعلا- الهداية، والإلحاح في ذلك، ولاسيما في أوقات الإجابة مثل آخر الليل جوف الليل، بين الأذان والإقامة, في آخر الصلاة، في السجود, في يوم الجمعة، إذا جلس الإمام على المنبر إلى أن تقضى الصلاة، وفي آخر يوم الجمعة بعد العصر إلى غروب الشمس، كل هذه أوقات ترجى فيها الإجابة، فينبغي للمؤمن أن يلح في طلب الهداية،**

**============================================**

**(1) الأنترنت ـ موقع الحكمة ضالة المؤمن**

**وفي طلب التوفيق, وفي طلب صلاحه وصلاح ذريته، وفي سؤال الله لولاة أمور المسلمين أن يهديهم ويوفقهم ويصلح حالهم ويعينهم على كل خير، هذه أوقات مناسبة. ومن أسباب الهداية الإكثار من قراءة القرآن وتدبر معانيه، فإن الله جعله سبب الهداية، قال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ }(9) سورة الإسراء. {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء }(44) سورة فصلت. فالإكثار من قراءة القرآن بالتدبر والتعقل والإقبال بالقلب عليه من أسباب الهداية. ومن أسباب الهداية العناية بسنة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وسيرته, كونه يقرأ سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم- وسيرة أصحابه، ويقرأ الأحاديث الواردة في ذلك هذا من أسباب الهداية. ومن أسباب الهداية أيضاً مجالسة الصالحين والأخيار وكونه يتخذهم أصحاب وجلساء يجلس معهم, ومن أسباب الهداية حضور حلقات العلم من أهل العلم المشايخ المعروفين بالخير يجلس عندهم ويسمع حلقات العلم ويستفيد كل هذا من أسباب الهداية. (1)**

**\*الإعجاز في الهداية**

**(قَالَ رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) (طه: 50)**

**إن كل شيء في الخليقة هو إعجاز كل خليّة، كل عضو، كل نشاط فيها؛ لكن الإعجاز هنا في الهداية بعد الخلق، هنا الهداية ليست الهداية الإيمانية، بل الهداية إلى أمور تضمن الحياة والديمومة واستمرار الأجيال. لنرى ماذا يقول المفسرون: قال ابن عباس: يقول خلق لكل شيء زوجه، وعنه: جعل الإنسان إنسانًا والحمار حمارًا والشاة شاة. =========================================**

**(1)الأنترنت ـ موقع الشيخ عبدالعزيز ابن باز**

**وقال مجاهد: أعطى كل شيء صورته، وسوّى خلق كل دابة. وقال سعيد بن جبير في قوله: (أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) قال: أعطى كل ذي خلق ما يصلحه من خلقه، ولم يجعل للإنسان من خلق الدابة، ولا للدابة من خلق الكلب، ولا للكلب من خلق الشاة، وأعطى كل شيء ما ينبغي له من النكاح، وهيأ كل شيء على ذلك، ليس شيء منها يشبه شيئًا من أفعاله في الخلق والرزق والنكاح**

**ويقول الشيخ عبدالرحمن السعدي: ربنا الذي خلق جميع المخلوقات، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، على حسن صنعه من خلقه، من كبر الجسم وصغره وتوسطه، وجميع صفاته. (ثم هدى) كل مخلوق إلى ما خلقه له، وهذه الهداية الكاملة المشاهدة في جميع المخلوقات. فكل مخلوق تجده يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المضار عنه. حتى إن الله أعطى الحيوان البهيم، من العقل، ما يتمكن به من ذلك. وهذا كقوله تعالى: (الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ). فالذي خلق المخلوقات وأعطاها خلقها الحسن، الذي لا تقترح العقول فوق حسنه، وهداها لمصالحها، هو الرب على الحقيقة**

**يقول الإمام القرطبي: قال ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي: أعطى كل شيء زوجه من جنسه، ثم هداه إلى منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه. وعن ابن عباس: ثم هداه إلى الألفة والاجتماع والمناكحة.**

**وقال الحسن وقتادة: أعطى كل شيء صلاحه، وهداه لما يصلحه. وقال مجاهد: أعطى كل شيء صلاحه، وهداه لما يصلحه. وأعطى كل شيء صورته: لم يجعل خلق الإنسان في خلق البهائم، ولا خلق البهائم في خلق الإنسان، ولكن خلق كل شيء فقدّره تقديرًا.**

**وقال الضحاك: أعطى كل شيء من المنفعة المنوطة به المطابقة له. يعني اليد للبطش، والرجل للمشي، واللسان للنطق، والعين للنظر، والأذن للسمع. وقيل: أعطى كل شيء ما ألهمه من علم أو صناعة. وقال الفراء: خلق الرجل للمرأة، ولكل ذكر ما يوافقه من الإناث، ثم هدى الذكر للأنثى. فالتقدير على هذا: أعطى كل شيء مثل خلقه**

**وفي زاد المسير للإمام ابن الجوزي: (أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ) فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أعطى كل شيء صورته، فخلق كل جنس من الحيوان على غير صورة جنسه، فصورة ابن آدم لا كصورة البهائم، وصورة البعير لا كصورة الفرس، روى هذا المعنى الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد: وسعيد بن جبير، والثاني: أعطى كل ذكر زوجة مثله، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس: وبه قال السدي، فيكون المعنى: أعطى كل حيوان ما يشاكله. والثالث: أعطى كل شيء ما يصلحه، قاله قتادة. وفي قوله: (ثُمَّ هَدَى) ثلاثة أقوال: أحدها: هدى كيف يأتي الذكر الأنثى، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال ابن جبير. والثاني: هدى للمنكح والمطعم والمسكن، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: هدى كل شيء إلى معيشته، قاله مجاهد. فإن قيل: ما وجه الاحتجاج على فرعون من هذا؟ فالجواب: أنه قد ثبت وجود خلق وهداية، فلابد من خالق وهادٍ**

**ولو تمعنَّا في الكائنات الحية نرى أن الهداية هذه جليّة في عدة أمور، وهي قدرة هذه الكائنات على تناول طعامها أو الحصول على رزقها، ثانيًا بناء مساكنها وثالثًا ديمومة أجيالها، أو الحفاظ على جنسها، فنبدأ بالأخيرة. من العوامل المهمة وربما أهمها للمحافظة على النوع هو التقاء الذكر والأنثى في المعاشرة، وإنها المقدمة لتلقيح البويضة، والدافع لهذا موجود في جميع الحيوانات في أوقات مختلفة، وربما أقوى وأطغى ما يكون في الإنسان، وأنه الشغل الشاغل لبني البشر منذ الأزل، فلولا هذه الشهوة المتأججة والرغبة الجامحة الجاذبة بين الذكر والأنثى ـ لم يكن أحد يقدم على هذا العمل، بل كان مدعاة للسخرية.**

**ثم لنبدأ بالبويضة المخصبة ـ أي الخلية الأولى التي تنقسم وتتكاثر لتكون الكائن الحي ـ من الحيوانات البسيطة إلى الإنسان يهيئ الخالق ـ سبحانه ـ لها ما يضمن لها أن تخصب، وهي الخطوة الأولى لبداية كائن جديد، ولولا عملية الإخصاب فلن ينشأ هذا الكائن، ففي الإنسان القذفة الواحدة من السائل المنوي تحتوي على ثلاثمائة إلى خمسمائة مليون حوين منوي (Sperm)، بالرغم أن واحدًا فقط من كل هذه الجموع الهائلة هو الذي يخترق البويضة ويخصبها، لأن كثيرًا من هذه الحوينات تتساقط وتهلك وهي تخوض سباقًا طويلاً نحو البويضة، وفي الأنثى فإن المبيض ينتج خلال فترة خصوبة المرأة عدة آلاف من البويضات لكن لا تصل إلى مرحلة النضوج والطرح إلا عدة مئات منها، كل هذا لضمان إنتاج بويضة مخصبة، وهذا ينطبق على جميع الحيوانات الثديية، وفي عالم الحيوان الأمثلة على هذه كثيرة جدٌّا، فالذباب المنزلي ينتج كمية من البيوض المخصبة لو توفرت لها الظروف المثالية وفقست كلها، لَغَطّى الذباب الأرض بسمك عدة مترات خلال شهر واحد، ودودة الإسكارس في معدة الإنسان تطرح يوميٌّا عشرين ألف بيضة، والضفدعة الواحدة تطرح عدة ألوف من البويضات كل مرة، وكل هذا ليضمن كل نوع استمرارية أجياله.**

**وماذا بعد طرح البويضة المخصبة؟ إن البيضة المخصبة تحتاج إلى مواد غذائية لكي تبدأ بالانقسامات وهي أول خطوة من مسيرة الحياة. هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذي ألهم الكائنات الحية لأنماط مختلفة من السلوك لضمان هذا، أو هيّأ لها المكان الملائم لها، ففي الإنسان بعد أن تتلقح البويضة داخل قناة الرحم (قناة فالوب) تبدأ بالانقسامات الأولية وتدفعها حركات الأهداب في جدار القناة باتجاه الرحم، حيث تبدأ بتكوين ما يشبه الجذور التي تمدها في جدار الرحم، لتمتص المواد الغذائية المهيأة لها كبداية، وهذه المواد الغذائية قد بدأت بالتكون منذ نهاية دورة الطمث، حيث يثخن جدار الرحم ويتم تزويده بأوعية دموية مكثفة لتزود الجدار بالأحماض الأمينية والسكريات والدهون اللازمة لانقسامات الـ(BLASTULA) ثم تبدأ الجذور بالانغراس لتكوين المشيمة ثم الحبل السكري لاحقًا، ليستمر نمو الجنين على مدى تسعة أشهر يتزود من الأم بجميع ما يحتاجه لحين تكامل الأعضاء واستعداد الجنين للخروج إلى الحياة. كل الثدييات حباها الله بالرحم الذي يحتضن البويضة المخصبة، ويرعاها ويزودها بكل احتياجاتها، إلى أن يصبح مخلوقًا كامل الخَلق. فما أروع هذا المكان، ولو خضنا في تفاصيل التفاعلات والهورمونات التي تفرز خلال فترة إعداد الرحم للحمل وأثناء الحمل لرأيت العجب، ولربما يكون هذا موضوع مقال آخر ـ إن شاء الله.**

**ولا زال الإنسان منذ بداية عصر النهضة العلمية يحاول اختراع مكان يضع فيه البويضة المخصبة لتنمو فيه وتترعرع ولكن بلا جدوى، أليست هذه هداية ربانية. وعندما يكتمل الجنين ويخرج إلى الحياة فله قصة أخرى سنأتي لذكرها. إن تأمين الغذاء والمكان الآمن للبيضة المخصبة في عالم الحيوان من بديع الإعجاز، الطريقة السابقة هي في الثدييات، أما في الطيور فنرى أن البيضة تحتوي على البويضة المخصبة التي لا تشكل منها إلا جزءًا ضئيلاً جدٌّا، والباقي من بياض البيضة وصفارها مواد غذائية تتحول إلى جنين بعد بدء انقسامات البويضة المخصبة. هنا أيضًا وفر الله ـ سبحانه ـ للبويضة المخصبة ما تنمو عليه إلى أن يتم تكوين الجنين ويخرج الكتكوت ليقتدي بأمه وتعلمه طريقة التقاط الحبوب، أو تجلب له الأم والأب طعامه وتضعه في فمه إلى أن يعتمد على نفسه.**

**وهناك سلوكيات غريبة تسلكها الحشرات لضمان الغذاء لانقسامات البويضة؛ فمنها ما يغرس البيضة تحت جلود الأبقار بواسطة آلة خاصة تمتلكها فتتغذى البويضة على الأنسجة تحت الجلد وتمر بمراحل النمو إلى أن تتكون حشرة بالغة فتخترق الجلد وتبدأ بالطيران، ومنها ما تقذف بيوضها في أنوف الأغنام حيث تجد البيضة الأنسجة الرخوة فتنمو عليها إلى أن تتحول إلى حشرة كاملة، ومنها ما تضع بيوضها على أوراق الشجر في فترة الخريف ثم تفرز على قاعدة السويق الذي يحمل الورقة مادة صمغية يمنع سقوطها، وتلتف الورقة على البيضة في فترة الشتاء وتحافظ عليها من الظروف الجوية إلى أن يحين وقت الربيع فتنمو براعم جديدة في مكان الورقة وحينها تفقس البيضة وتتغذى على هذه البراعم إلى أن تتحول إلى حشرة كاملة. لو كنتَ من سكان الصحراء أو الريف أو كنتَ من هواة السباحة فيها ـ فإنك تصادف خنفسة تدفع بكرة صغيرة بقطر سنتمترين تقريبًا وأحيانًا تتعاون مع خنفسة أخرى ولو تابعتَها سترى أنها وضعتها في مكان أمين بعيدًا عن الفضوليين. ماذا تعتقد؟ هل أنها أصبحت من هواة كرة القدم، مجاراة للعصر؟ إنها تؤدي وظيفة أنبل من هذا. إن هذه الكرة تتكون من روث الحيوانات وهي غنية بالمواد الغذائية الملائمة لنمو يرقات الحشرات، وضعت فيها بيضتها وصنعت منها كرة ووضعتها في مكان آمن، حيث إن البيضة تفقس وتنقسم خلاياها مستمدة غذاءها من المواد الغذائية المتوفرة في هذه الكرة، إلى أن تصل إلى مرحلة الاعتماد على النفس.**

**ومن الحشرات ما تبني كوخًا هرميٌّا صغيرًا، في قمته فتحة صغيرة تقوم الحشرة هذه باصطياد حشرة أخرى وتقتلها وتضعها في الكوخ، ثم تضع بيضها عليها، وتقوم بإغلاق الفتحة العليا للكوخ وعندما تفقس البيضة تتغذى الحشرة الصغيرة على الحشرة الضحية إلى أن تصبح حشرة كاملة فتخترق القمة العليا وتبدأ بالطيران. إن هذه الأمهات ستموت ولن ترى الأجيال القادمة، مع هذا فإنها تسلك هذه السلوكيات الغريبة للمحافظة على نوعها من الانقراض، وغالبًا أنها لا تدري لماذا تفعل هذا، لكنه إلهام رباني مبرمج في أدمغتها، مثل برامج الكمبيوتر تنفّذه، فهل هناك هداية أروع من هذا؟! ولو فصلنا في هذه السلوكيات يمكن أن نكتب فيها مجلدات. وبعد أن يتكامل الجنين ويخرج إلى الدنيا في كثير من الكائنات ـ وبالذات الثدييات ـ فإن أول شيء مهم يجب أن يمارسه ولا يستطيع أحد أن يعلمه إياه تعليمًا هي الرضاعة، فإن لم يجده فمصيره الموت، فالمولود من الثدييات يجيد الرضاعة، فمن علمه هذه، إلا أن تكون هداية ربانية، وبعد الولادة فإن كثيرًا من وليد الحيوانات ـ وكذلك الإنسان ـ يحتاج إلى رعاية زمنية متفاوتة وربما يكون الإنسان أطولها وأرهقها للأم، وهنا تبدأ الأمومة، وما أدراك ما الأمومة؟ إنها حقٌّا معجزة، يتحول خلالها القط إلى أسد، والدجاجة إلى نمر، وتظهر سلوكيات عجيبة في الحيوانات لحماية الوليد الصغير ورعايته، وكلها عوامل لاستمرارية الأجيال ومنعها من الانقراض.**

**إن الرعب والرهبة التي في نفس القط تجاه الكلب تتلاشى في فترة الأمومة وتلاحظها تحتضن أولادها وترضعهم معظم أوقاتها، وإذا اقترب منهم كلب تراها تكشر عن أنيابها وتبرز مخالبها وتنفخ وتتحدى وتتأهب للهجوم على الكلب، بينما هي في أوقات غير الأمومة تطلق أرجلها للريح، وتعدو مسرعة لتنجو بجلدها ـ بمجرد رؤية الكلب من بعيد ـ والدجاجة في فترة الأمومة تتحدى القط والكلب وأي كائن آخر يقترب من صغارها، وهناك من الثدييات ما تحمل صغارها في أكياس تحت بطنها طيلة فترة إرضاعها، وهناك عقارب تحمل صغارها على ظهرها إلى أن تستطيع الاعتماد على النفس. ومعظم الطيور تجلب لصغارها الطعام وعيونها لم تتفتح على الدنيا بعد.**

**فتلقمه إياها والصغار لا تعرف غير فتح فمها وابتلاع الطعام. وفي إحدى القصص العصرية عن الحروب لفت نظري منظر له مغزًى رائع عن الأمومة، المشهد هو مجموعة من اللاجئين في قارب هاربين من الحرب وتطاردهم طائرة مروحية عسكرية تطلق عليهم الرصاص، وفي القارب امرأة تحتضن وليدها وتلتف عليه وتغطيه بجسدها، الأم تعلم أن في هذا العمل حتفها ولكنها لا تتردد فيه لتموت هي عسى أن يعيش وليدها، فهل هناك معجزة مثل معجزة الأمومة، إنها تتحدى جميع المبادئ المادية التي تعرف في الخليقة، إن الحياة نتاج المادة لن تضحي بنفسها لغيرها، لكنها معجزة الخالق. إنها الأمومة، ولهذا يقال: إن الأمومة تجمع المتناقضات؛ فالأم في حالة المخاض تعاني آلامًا لا تطاق، لكنها سعيدة بمولودها الذي تراه بعد هنيهة. ولهذا كانت الجَنّة تحت أقدام الأمهات.**

**المسألة الثانية: هي السلوكيات التي تسلكها الحيوانات للحصول على رزقها، فجميع الحيوانات تسعى حثيثًا للحصول على ما تقتات عليه وتسد رمقها، ولهذا نرى أن الأجناس والأنواع المختلفة من الحيوانات لها تصرّفات وحركات ذات مهارة عالية، وربما لو حاول الإنسان العادي أن يقلّدها فلن يستطيع. فالعنكبوت تبني بيتًا خفيفًا واهيًا لكنه ذو هندسة جميلة وتتحرك حركات بزوايا محدودة ومسافات معلومة لعمل خيط، وآخر بزاوية أخرى ومسافة أخرى، والثانية والثالثة والرابعة إلى أن تراها قد أكملت شكلاً هندسيٌّا جميلاً، ثم تراها تجلس في أحد الزوايا منتظرة حشرة تقع في هذا الشرك، فتسارع إلى لف خيوط أخرى حولها وتكبلها حتى تصبح بلا حول ولا قوة، ثم تغرس أنيابها في جسمها وترتشف عصارة جسمها فلا يبقى فيها إلا القشرة الخارجية، وأنت تنظر إليها وكأنها سليمة ولا تدري أن العنكبوت قد امتصت كل عصارتها. وَمَثَلٌ آخر: يرقة أسد النمل؛ فإنها تملك فكوكًا طويلة وتبني في الأرض وبالذات في المناطق ذات التراب الناعم ـ حفرة على شكل قمع في شكل هندسي جميل، ولو شاهدت أحد الأفلام التي تصور عملية البناء من أولها لآخرها لسجدت لرب العالمين، كيف ألهم هذا الكائن هذه الحركات العجيبة والتي بها تقذف بذيلها وأرجلها التراب، وتحفر وتكرر العملية إلى أن تبني هذا الشكل الهندسي الرائع، ولماذا هذا الشكل بذات.**

**إنها مصيدة فإن هذه اليرقة تختبئ في قاع الحفرة هذه حتى إذا مرت نملة أو حشرة أخرى من حافة هذه الحفرة تنزلق إلى قعرها، وسطح الحفرة من الداخل أملس جدٌّا بحيث كلما حاولت الضحية التسلق والخروج من الحفرة تسقط ثانية إلى القعر قبل أن تصل إلى الحافة. فتخرج يرقة أسد النمل من مخبئها مبتهجة لتحتفل بالوليمة.(1)**

**\*طلب الهداية**

**طلب الهداية (اهدِنَـا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ )**

**( أ )الهداية في الآية بمعنى : طلب التوفيق والإرشاد إلى الحق، والدلالة عليه، والثبات على الصراط إلى الممات .والمعنى : ألهمنا يا ربنا ووفقنا وأرشدنا ودلنا على طريق الخير والهدى والفلاح ، وهو الطريق الموصل إلى الله تعالى وإلى جنته بمعرفة الحق والعمل به ولزوم دين الإسلام وترك ما سواه**

**=======================================**

**(1)الأنترنت ـ موقع الإعجاز في الهداية قاله : د. عبد الله عبد الكريم أستاذ علم الفسيولوجيا العصبية.**

**(ب) المناسبة : ولما كان الجانب الديني في الاستعانة المذكورة في الآية قبلها هو الأهم، كان طلب المسلم للهداية أهم ما ينبغي على العبد أن يُلح في دعائه لله تعالى بشأنه؛ لأن طلب الهداية من الله تعالى، والاستعانة به سبحانه على تحقيقها، أهم ما يشغل المسلم، وأول أمر يعنيه هو الحاجة إلى الهداية، والعبد وإن كان من المهتدين إلا أنه محتاج ليل نهار إلى سؤال الهداية من ربه، وتثبيته عليها، وازدياده منها، واستمراره عليها، وهو مفتقر في كل ساعة إلى إجابة الدعاء .**

**ومن هنا فإن المسلم يردد طلب الهداية من الله تعالى، وهو يناجيه في صلاته كلها، فريضة أو نافلة، آناء الليل وأطراف النهار وما بين ذلك، عشرات المرات في اليوم الواحد .**

**قال ابن القيم : ولما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم، أجل المطالب لنيل أشرف المواهب، عَلم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يدي الدعاء حمده سبحانه، والثناء عليه، وتمجيده، ثم ذكرهم عبوديته وتوحيده، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم :**

**1- توسل إليه سبحانه بأسمائه وصفاته .**

**2- توسل إليه بعبوديته والاستعانة به سبحانه .**

**وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء .**

**وقد اشتملت سورة الفاتحة في نصفها الأول على هذين النوعين من التوسل، ثم كان الدعاء بعدهما في النصف الثاني، بطلب الهداية من الله تعالى، وسلوك طريق الذين أنعم الله عليهم بالاستقامة والسعادة في الدارين .**

**وقد جمعت سورة الفاتحة بين التوسل بالحمد والثناء، والتوسل بالتوحيد والعبودية، ثم جاء سؤال أهم المطالب، وهو طلب الهداية بعد هاتين الوسيلتين، فالداعي حينئذ حقيق بالإجابة بمحض فضل الله تعالى عليه .**

**فنصف سورة الفاتحة الأول يشتمل على نوعي التوسل المشروع؛ وهما: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته، والتوسل إليه سبحانه بالعبادة والعمل الصالح .**

**وقد جاء النوع الأول في حمد الله تعالى والثناء عليه وتمجيده .**

**وجاء النوع الثاني في توجه العبد بعبادته إلى الله وحده واستعانته به سبحانه .**

**وبعد ذلك يكون العبد حريًا بإجابة الدعاء، وقد طلب من ربه أن يهديه إلى أعدل الطرق وأقومها، ويبعده عن طريق أهل الغضب والضلال، بعد أن قدم بين يدي ربه دواعي الإجابة، فيكون جديرًا بالهداية .**

**1- فالتوسل المشروع يكون بأسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العليا، كما قال تعالى : "وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا" [الأعراف: 180] أي : ادعوا الله تعالى متوسلين إليه بأسمائه الحسنى .**

**كأن يقول العبد : اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني وتغفر لي، وكما في حديث الرجل الذي سأل ربه الجنة في تشهده بأسمائه الحسنى وصفاته العليا .**

**وهو حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلًا يقول في تشهده : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المنان، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار، فقال صلى الله عليه وسلم : «لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى» (رواه أبو داود والنسائي وأحمد في «المسند» قال محققوه: حديث صحيح وإسناد قوي، والبخاري في «الأدب المفرد» وابن حبان وغيرهم بإسناد صحيح) . فهذا توسل إليه سبحانه بأسمائه وصفاته .**

**2- ويكون التوسل المشروع أيضًا بالعبادة والعمل الصالح الذي قدمه العبد بنفسه، كما في قصة الثلاثة الذين آواهم الغار وانطبقت عليهم الصخرة، فدعا كل منهم ربه بعمل صالح عمله، حيث دعا الأول ربه ببره لوالده، ودعا الثاني بحفظ الأمانة وتنميتها لصاحبها، ودعا الثالث بترك شهوته خوفًا من الله تعالى، بعد أن تمكن من المرأة، وقعد بين شعبها الأربع، فرفع الله عنهم الصخرة، والحديث في الصحيحين .**

**ومن ذلك قوله تعالى : "الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" [آل عمران: 16] وقوله تعالى : {رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ} [آل عمران: 193] .**

**ومن ذلك حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلًا يدعو ويقول : اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فقال : «لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سُئل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب» (رواه أحمد بإسناد صحيح ورجال ثقات رجال الشيخين، والترمذي والنسائي في «الكبرى» وابن حبان وأبو داود وغيرهم). فهذا توسل إلى الله تعالى بعمل صالح هو الشهادة والتوحيد .**

**(ج) والهداية تتعدى بنفسها وبغيرها : 1- الهداية قد تتعدى بنفسها، كما قال تعالى : "وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ" [البلد: 10] أي: طريق الخير والشر .**

**2- وقد تتعدى الهداية باللام، كما قال تعالى على لسان أهل الجنة : "الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ"[الأعراف: 43] .**

**أي : الحمد لله الذي وفقنا لهذا وجعلنا له أهلًا .**

**3- وقد تتعدى الهداية بإلى، كما قال تعالى : "وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ \* صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ" [الشورى: 52، 53] .**

**وقد فرق بعضهم بين الفعل المتعدي بنفسه؛ فقالوا: معناه الدلالة على الخير، وبين المتعدي بغيره؛ فقالوا : معناه إيصال الخير إلى العبد .**

**(د) طلب الزيادة من الهداية : والمهتدي يطلب من الله تعالى زيادة الهدى، كما قال سبحانه : "وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ" [محمد: 17] .**

**وكما قال جل شأنه : "إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى" [الكهف: 13] .**

**(هـ) أنواع الهداية؛ الهداية نوعان :**

**النوع الأول : خلق الهداية وإيجادها في نفس العبد .**

**وهذه الهداية خاصة بالله تعالى لا يملكها غيره، وعلى هذا المعنى يُحمل مثل :**

**1- قول الله تعالى : "إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" [القصص: 56] .**

**2- وقوله سبحانه : "إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ" [النحل: 37] .**

**3- وقوله جل شأنه : "وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ" [يونس: 99] .**

**والله تعالى لا يهدي من سبق في عمله أنه لا يهتدي من أهل الضلال والزيغ والظلم، كما قال تعالى : "وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ" [البقرة: 26] .**

**وكما قال سبحانه : "وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" [الصف: 7] وقال أيضًا : "فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ" [الصف: 5] ففسقهم وظلمهم وزيغهم وكرفهم هو السبب .**

**النوع الثاني : الهداية بمعنى الدعوة إلى الله تعالى، والدلالة على الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا النوع من الهداية، هو وظيفة الرسل والأنبياء والدعاة والمصلحين، وهي المرادة في قوله تعالى : "اهدِنَـا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ".**

**وفي قوله تعالى : "وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ \* صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ" [الشورى: 52، 53] .**

**(و) ومن الهدايات التي يطلبها العبد من ربه، أن يطلب منه :**

**1- الهداية بالتوبة عن المعاصي مما ألم به من ذنوب وآثام اقترفها وهو على غير هدى .**

**2- ويطلب منه أن يهديه؛ بمعنى يوفقه إلى الثبات والاستمرار على الاستقامة إن كان مهتديًا في حاضره .**

**3- ويطلب من الله تعالى أن يهديه في المستقبل كما حصل له من الهداية في الماضي .**

**4- ويطلب أن يزيده الله هداية فوق هدايته، وتقوى على تقواه .**

**5- ويطلب منه أن يوفقه إلى تمام الهداية في الأمور التي هُدي فيها من وجه دون وجه**

**فالمسلم يطلب من ربه أن يهديه في جميع أنواع هذه الهدايات إلى أفضل الأحوال .**

**أ- وأهل هذه الهداية المختصون بنعمته سبحانه هم من عرفوا الحق وعملوا به .**

**ب- دون من عرفوا الحق ولم يعملوا به، ممن غضب الله عليهم؛ بسبب النكوص بعد الاهتداء .**

**ج- ودون من فقدوا طريق الهداية، فعبدوا الله بغير علم، فضلوا وأضلوا، ولم يوفقوا إلى الوصول إليه .**

**وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يطلب من ربه وهو متوجه إليه في صلاته، أن يهديه إلى أعدل الطرق وأقومها، ويعلمنا ذلك، فكان يقول في دعاء استفتاح الصلاة :**

**1- «واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت» (من حديث طويل أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي) .**

**2- وكان عليه الصلاة والسلام أيضًا يستفتح صلاته بطلب الهداية من ربه بقوله :**

**«اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» (أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي في الكبرى) .**

**(ز) مراتب الهداية : وقد بين ابن القيم (من تفسير سورة الفاتحة له بتصرف) أن الهدياة على عشرة مراتب:**

**1- تكليم الله تعالى يقظةً بلا واسطة، كتكليم موسى عليه السلام، وفي ذلك هداية خاصة له .**

**2- مرتبة الوحي المختصة بالأنبياء، وفيها هدايتهم للاقتداء بهم .**

**3- مرتبة إرسال الرسل لهداية البشر بعد اجتبائهم واصطفائهم .**

**وهذه المراتب الثالث، هداية خاصة بالأنبياء؛ بتكليمهم، والوحي إليهم، وإرسالهم .**

**4- مرتبة التحديث، أي : الإلهام والتوفيق والسداد، وهي هداية من الله تعالى كحديث أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «لقد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في هذه الأمة، فعمر بن الخطاب» (أخرجه البخاري) .**

**5- مرتبة الإفهام، كقوله تعالى : "فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ" [الأنبياء: 79] وهي نوع هداية .**

**6- مرتبة بيان الحق وتمييزه من الباطل، كقوله تعالى : "وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" [التوبة: 115] .**

**7- مرتبة البيان الخاص المستلزم للهداية الخاصة، كقوله تعالى : "إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ" [النحل: 37] .**

**8- مرتبة الإسماع، كقوله تعالى : "وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأسْمَعَهُمْ" [الأنفال: 23] .**

**9- مرتبة الإلهام، كقوله تعالى : "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا" [الشمس: 7، 8] .**

**10- مرتبة الهداية : بالرؤيا الصادقة، وهي جزء من أجزاء النبوة .**

**(ح) وللهداية طرق أربعة :**

**1- الإلهام الفطري : وهو يكون مع الطفل حين ولادته، فهو يلتقم ثدي أمه، ويمتصه بإلهام فطري .**

**2- حواس الإنسان : السمع والبصر والذوق والشم والحس، وهي تنمو مع الإنسان، ولكنها تخطئ كثيرًا .**

**3- الإرشاد الإلهي عن طريق الرسالات السماوية والكتب المنزلة .**

**4- العقل: وهو مناط التكليف، وبه تدرك الحقائق، وتصحح أخطاء الحواس، وهو مختلف في الناس .**

**وقد لا ينتفع الإنسان بهذه الحواس، فتقصر أو تضعف، ويضل العقل أو ينصرف، وقد يجهل المرء دينه أو يعرض عنه .**

**لهذا وغيره، شرع لنا سبحانه أن نسأله الهداية إلى الصراط المستقيم؛ فلا تقصر الحواس، ولا تضعف العقول، ولا تحيد عن الدين الحنيف، وفي هذا الإيجاز منتهى الإعجاز .**

**(ط) الصراط المستقيم هو دعوة الرسل : الصراط المستقيم، هو الطريق الواضح الذي لا عوج فيه، وهو الدين الحق الذي لا يقبل الله من العباد غيره، والقرآن الكريم متضمن لهذا الصراط، وهو عين ما جاء به الإسلام في دعوة الرسل، فهو الطريق الذي نصبه الله تعالى لعباده على ألسنة الرسل، وجعله موصلًا إليه سبحانه، وهو مضمون الشهادتين .**

**وقد وصف الله تعالى الصراط، بأنه مستقيم، ثم وضح وبين هذا الصراط، بأنه صراط الذين أنعم الله عليهم، وينسب الصراط إلى الله تعالى؛ لأنه شرعه ونصبه، ويضاف إلى العباد؛ لأنهم أهل سلوكه .**

**(ي) صراط الدنيا وصراط الآخرة : ومن هُدِىَ إلى الصراط المستقيم في الدنيا، هدي إلى الصراط الموصل إلى الجنة، وعلى قدر استقامة العبد على الصراط في الدنيا، على قدر ثبوت قدمه على الصراط الحسي، وهو الجسر المنصوب على متن جهنم يوم القيامة، فعلى قدر سير العبد على الصراط في الدنيا يكون سيره على ذاك الصراط في الآخرة .**

**والهداية إلى الصراط الأخروي وطلب الثبات عليه، والنجاة من ضده، هداية خاصة بالطريق إلى الجنة يوم القيامة، فهي نوع من الهداية بالمؤمنين، وهو داخل ضمن مراد الآية .**

**(ك) المرور على الصراط : ويوم القيامة ينصب الصراط على متن جهنم فتختلف أحوال الناس وهم يمرون عليه، فالمؤمنون يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، والكافرون يكونون في ظلمات لا يبصرون، والمنافقون يكونون في بصيص من نور، ثم يسلب منهم فيتخبطون .**

**وهكذا فإن الناس في المرور على الصراط يوم القيامة أصناف :**

**فمنهم من يمر عليه كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح المرسلة، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوًا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من يُخطف خطفًا ويُلقى في جهنم "ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا" [مريم: 72] .**

**(ل) العوائق: فلينظر العبد في الصوارف والشواغل والعوائق، التي تعوقه عن السير على الصراط يوم القيامة، من الشهوات والشبهات وهو في الدنيا؛ فإن الكلاليب التي بجنبي الصراط على متن جهنم تخطفه وتعوقه عن المرور عليه يوم القيامة، فإن قويت هذه الشهوات وكثرت في الدنيا، فإن الأمر يكون كذلك هناك .**

**وعلى قدر سير العبد على طريق الهدى في الدنيا، فإنه سيكون كذلك في الآخرة حذو القذة بالقذة، جزاءً وفاقًا، وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل لأصحابه هذا المعنى إلى الأمة .**

**عن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله تبارك وتعالى ضرب مثلًا صراطًا مستقيمًا على كنفي الصراط داران (وفي رواية: سوران) لهما أبواب مفتحة، على الأبواب ستور، وداع يدعو إلى دار السلام، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» (صحيح سنن الترمذي) .**

**فالأبواب التي على كنفي الصراط، حدود الله تعالى، فلا يقع أحد في حدود الله تعالى حتى يكشف الستر، والذي يدعو من فوقه واعظ ربه .**

**ويقول ابن مسعود رضى الله عنه : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطًا، وقال : «هذا سبيل الله» ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن يساره، وقال : «هذه سبل، وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثم قرأ قوله تعالى : "وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ" [الأنعام: 153] (حديث صحيح أخرجه أحمد ورزين عن ابن مسعود) .**

**وفسره رزين عن ابن مسعود رضي الله عنه : أن الصراط هو الإسلام، وأن الأبواب هي محارم الله تعالى في قلب كل مؤمن (ينظر: مسند الإمام أحمد) .**

**الناس في هذه الآية ثلاث طوائف :**

**1- المؤمنون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أو من غيرهم من الأمم السابقة في زمن رسلهم .**

**2- المغضوب عليهم؛ وهم اليهود الذين لم يعملوا بالتوراة في زمن نبيهم، ولم يؤمنوا بعيسى ولا بمحمد عليهما السلام، وكذا كل من شاكلهم .**

**3- الضالون؛ وهم النصارى الذين لم يتمسكوا بتعاليم الإنجيل الصحيح في زمن نبيهم، ولم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد بعثته، وكذا كل من كان مثلهم .**

**وقد أرشدنا الله سبحانه إلى أن نسأله الهداية إلى طريق الصنف الأول: (الذين أنعم عليهم)، وأن نبرأ من الصنفين الآخرين، فكلاهما هالك .**

**الصنف الأول : المنعم عليهم: هذا تفسير للصراط المستقيم المذكور في الآية السابقة، فالمسلم يطلب من ربه ليل نهار أن يهديه إلى طريق الذين أنعم عليهم، وهم الذين أطاعوا الله والرسول وليس في قلوبهم ذرة إلا وهي معمورة بحب الله تعالى، والذين أنعم الله عليهم، هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون .**

**فهؤلاء قد أنعم الله عليهم بالسعادة في الدنيا والآخرة؛ لأنهم أهل الهداية والاستقامة والطاعة وامتثال الأوامر واجتناب النواهي، وهذه النعمة، نعمة مطلقة، شاملة، موجبة للفلاح الدائم، وإلا فكل الخلق يعيش في نعمة الله تعالى، ومنهم الكافر، فالنعمة المطلقة لأهل الإيمان، ومطلق النعمة للمؤمن والكافر، وفيه نسبة النعمة إلى الله تعالى دون غيره، حتى لا ينسب الشر إلى الله تعالى، من باب تعليم الأدب مع الله تعالى .**

**والذين أسبغ الله عليهم نعمه ليسوا من الذين ينحرفون عن صراطه المستقيم، أو يجلبون على أنفسهم نيران غضبه ولعنته، وإنما يستجلبون رضى الله تعالى، ويبتعدون عن أسباب غضبه وتنكب الصراط .**

**والمنعم عليهم هم صفوة البشر الميطعون لله والرسول، يبدأ وصفهم بالنبوة وينتهي بالصلاح، قال تعالى : "وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا \* ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ عَلِيمًا" [النساء: 69، 70] .**

**وقال سبحانه بعد أن ذكر عددًا من الأنبياء والمرسلين، ممن أنعم الله عليهم من ذرية آدم، وممن حملوا مع نوح، وممن هدى الله : "أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا" [مريم: 58] .**

**ومن هؤلاء الذين عنتهم الآية: أنبياء وصديقون وشهداء وصالحون .**

**وصراط الذين أنعم الله عليهم، هو الصراط المستقيم، الذي لا اعوجاج فيه .**

**وعلى كل مسلم ألا يغفل عن طلب العون من الله تعالى، ونعمة الهداية هي أكبر النعم التي امتن الله بها على عباده، إذ إن الهداية لا ينالها إلا المطيعون الموفقون الصالحون، والمنعم عليهم هم المؤمنون المتقون، الذين عرفوا الحق، فاتبعوه وعملوا به في مقابلة من يأتي ذكرهم، وهم الذين عرفوا الحق ولم يعملوا به وأنكروه، والذين ضلوا عن الصراط وأخطئوا الطريق الصحيح .**

**الصنف الثاني : اليهود "غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ"**

**عن عبد الله بن شقيق العقيلي قال : أخبرني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو بوادي القرى على فرس له، وسأله رجل من بني القين فقال : من المغضوب عليهم يا رسول الله ؟ قال : «اليهود» قال : فمن الضالون : قال : «النصارى» («المسند» بنحوه والبيهقي وعبد الرزاق في تفسيره قال محققو المسند: إسناده صحيح ورجاله ثقات، وأخرجه أيضاً الطبري)) .**

**وعن الشريد بن سويد قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا جالس هكذا، وقد وضعت يدي اليسرى خلف ظهري، واتكأت على إلية يدي، فقال : «أتقعد قعدة المغضوب عليهم» (صحيح سنن أبي داود» وفي سنن أبي داود) .**

**وقد غضب الله عليهم؛ لأنهم عرفوا الحق ولم يعملوا به، ومن ذلك معرفتهم بأوصاف محمد صلى الله عليه وسلم وعدم الإيمان به .**

**فغير المنعم عليهم صفنان : صنف خرج عن الحق بعد علمه به ، وأعرض عنه بعد أن استبان له ، وهم المغضوب عليهم .**

**وصنف لم يعرفوا الحق أبدًا أو عرفوه على وجه غير صحيح، فهم في عماية وضلال، وكلا المسلكين فاسد؛ لأنه حاد عن صراط الإسلام، فكل من اليهود والنصارى وأمثالهم، ضال مغضوب عليه، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب، كما قال تعالى فيهم : "مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ" [المائدة: 60]، وقال تعالى عنهم : "فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ" [البقرة: 90] .**

**الصنف الثالث : النصارى "وَلاَ الضَّالِّينَ"**

**الضال هو الذي حاد عن السبيل وسلك غير المنهج القويم .**

**والضالون : هم النصارى ومن على شاكلتهم، ممن فقد العلم وأخطأ الطريق الصحيح، فهام على وجهه ولم يهتد إلى الحق .**

**وأخص أوصاف النصارى الضلال، فهم قد ضلوا عن طريق التوحيد؛ فنسبوا لله تعالى الشريك والولد، فضلوا في أنفسهم وأضلوا غيرهم، كما قال تعالى عنهم : "قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ" [المائدة: 77] .**

**والضلال سلوك الطريق غير السوي، وهو ضد الهدى والرشاد .**

**وفي حديث عدي بن حاتم، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إن المغضوب عليهم اليهود، وإن الضالين النصارى» (أخرجه الترمذي بإسناد حسن) .**

**وعن أبي ذر رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المغضوب عليهم : قال : «اليهود» قلت : الضالين ؟ قال : «النصارى» (ينظر هذا وغيره في «الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد» وقد أورد الهيثمي نحوه بسند صحيح والأثر عند ابن مردويه كما في تفسير ابن كثير والدر المنثور) .**

**وهذا من باب التمثيل باليهود والنصارى وليس من باب الحصر، وإلا فإن الآية تشمل كل ما انطبق عليه الوصف .**

**وفي السيرة عن زيد بن عمرو بن نفيل، أنه لما خرج مع جماعة من أصحابه إلى الشام يطلبون الدين الحنيف، قال له اليهود : إنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله، فقال : أنا من غضب الله أفر، وقالت له النصارى : إنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ نصيبك من سخط الله، فقال : لا أستطيعه، فاستمر على فطرته مجانبًا دين المشركين وعبادة الأوثان، ولم يدخل في اليهودية ولا النصرانية .**

**والآية عامة في كل من غضب الله عليه، وكل من ضل وحاد عن الصواب، ومن عرف حقيقة اليهود والنصارى حاليًا أيقن بانطباق وصف الغضب والضلال عليهم واستحقاقهم له، فاللهم اجعلنا ممن أنعمت عليهم وأبعدنا عن طريق المغضوب عليهم والضالين .**

**مع الهداية في الفاتحة :**

**يستحضر المسلم فاقته وحاجته إلى الهداية، فهو محتاج إليها في كل طرفة عين، وهو أشد ما يكون حاجة إلى من يهديه سواء السبيل، فليسأل ربه الهداية من فضله، وكأنه قد أبصر طريق الإسلام الذي اشتمل على سعادة الدارين، وعليه أن يحرص على التمسك به والتزامه "اهدِنَـا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ "....... (1)**

**==============================================**

**(1) الأنترنت ـ موقع الكلم الطيب**

**\*موانع الهداية كما ذكرها ابن القيم باختصار :**

**السبب الأول : ضعف معرفته بهذه النعمة ، وأنه لم يقدرها قدرها .**

**وانظر – رعاك الله – بعين بصيرتك إلى حال أكثر الناس ، الذين ربما بلغوا شأنا عظيماً في أمور الدنيا ، وهم يُقيمون على الشرك والضلالة ، ويصدق فيهم قول الحق تبارك وتعالى : ( يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ )**

**السبب الثاني : عدم الأهلية … فإذا كان القلب قاسيا حجريا لا يقبل تزكية ولا تؤثر فيه النصائح لم ينتفع بكل علم يعلمه كما لا تُنبت الأرض الصلبة ولو أصابها كل مطر وبُذر فيها كل بذر ، فإذا كان القلب قاسيا غليظا جافيا لا يعمل فيه العلم شيئا وكذلك إذا كان مريضا مهينا مائيا لا صلابـة فيه ولا قوة ولا عزيمـة لم يؤثر فيه العلم .**

**ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقيةٌ قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفةً أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ**

**فذلك مثل من فَقُه في دين الله ونفعه مابعثني الله به فعلِم وعلّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به . كما في الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه .**

**السبب الثالث :قيام مانع وهو إما حسد أو كبر ، وذلك مانع إبليس من الانقياد للأمر ، وهو داء الأولين والآخرين إلا من عصم الله ، وبه تخلف الإيمان عن اليهود الذين شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا صحة نبوته ومن جرى مجراهم . اهـ ومن ذلك ما ذكره الله عن المشركين : ( وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَرًا رَّسُولاً)**

**فكان الجواب : ( قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاء مَلَكًا رَّسُولاً )**

**وحقيقة المسألة تعنّت واستكبار ، وإلا لو جاءهم ملك لقالوا : هذا تختلف طبيعته عن طبيعتنا ، فهو من عالَم آخر ، ويُطيق ما لا نُطيق ! وقد قال الله تبارك وتعالى : ( وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ )**

**فسيقولون حينها هذا ليس بِمَلَك !**

**السبب الرابع : - مما ذكره ابن القيم - مانع الرياسة والملك ، وإن لم يقم بصاحبه حسد ولا تكبـرٌ عن الانقياد للحق ، لكن لا يمكنه أن يجتمع لـه الانقياد وملكه ورياسته فيضن بملكه ورياسته كحال هرقل وأضرابه من ملوك الكفار الذين علموا نبوته وصدقه واقرُّوا بها باطنا واحبوا الدخول في دينه لكن خافوا على ملكهم . اهـ .**

**وقد أخبر الله عن فرعون أنه ما مَنَعَه من الإسلام والانقياد إلا ذلك ، وإلا فقد أيقن فرعون بصدق موسى ، قال الله عز وجل : (فَلَمَّا جَاءتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ \* وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ )**

**ومثلهم الملأ الذين حكى الله أخبارهم ، فكانوا يخشون إن آمنوا أن تذهب هيمنتهم ، ويذهب جاههم ، ويتساووا بالعبيد ، قال الله جل جلاله : ( وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ {4} أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ {5} وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ {6} مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاّ اخْتِلاقٌ {7} أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ )**

**السبب الخامس : مانع الشهوة والمال وهو الذي منع كثيراً من آهل الكتاب من الإيمان خوفا من بطلان مأكلهم وأموالهم التي تصير إليهم من قومهم وقد كان كفار قريش يصدون الرجل عن الإيمان بحسب شهوته ، فيدخلون عليه منها ، فكانوا يقولون لمن يحب الزنا : إن محمدا يُحَرِّم الزنا ويحرم الخمر .**

**وهذا الذي مَنَع أبا جهل من الإسلام ، فإنه لما أتاه الأخنس فدخل عليه في بيته قال : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال : ماذا سمعت ، قال : تنازعنا ونحن بنو عبد مناف الشرف : أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب ، وكُنّا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نؤمن به أبدا ، ولا نصدقه ، فقام عنه الأخنس ، وتركه .**

**السبب السادس : محبة الآهل والأقارب والعشيرة ؛ يرى أنه إذا اتبع الحق وخالفهم أبعدوه وطردوه عنهم وأخرجوه من بين أظهرهم ، وهذا سبب بقاء خلقٍ كثير على الكفر بين قومهم وأهاليهم وعشائرهم .**

**ومن ذلك أن بعض أهل الباطل ممن انتحلوا مذاهب هدّامة لما تبيّن لهم الحق ما منعهم أن يتّبعوه ويهتدوا إلا أنهم يخشون أن تذهب مكانتُهم أو تتلاشى .**

**السبب السابع : محبة الدار والوطن ، وإن لم يكــن لـه بها عشيرة ولا أقارب لكن يرى أن في متابعة الرسول خروجه عن داره ووطنه إلى دار الغربة والنوى ، فيضنّ بوطنه .**

**وقد ورد في الحديث الذي رواه الإمامُ أحمد من قوله صلى الله عليه وسلم : إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه ، فقعد له بطريق الإسلام فقال له : أتسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك ، فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال : أتهاجر وتذر أرضك وسماءك وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول ، فعصاه فهاجر قال : ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له : هو جهاد النفس والمال ، فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال ، فعصاه فجاهد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن فعل ذلك منهم فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة .**

**السبب الثامن : مَنْ تخيّل أن في الإسلام ومتابعة الرسول إزراء وطعنا منه على آبائه وأجداده وذمّـاً لهم ، وهذا هو الذي منع أبا طالب وأمثاله عن الإسلام استعظموا آباءهم وأجدادهم أن يشهدوا عليهم بالكفر والضلال .**

**ولذا لما حضرت أبا طالبٍ الوفاة وجاءه أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقالا له : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب - آخر ما كلمهم - : هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله . كما في الصحيحين .**

**فهذا مانعٌ من موانع الهداية ، بالإضافة إلى صُحبة السوء ، فإنها تمنع من الهداية والاستقامة والالتزام والتمسّك بشرع الله .**

**فيُسمعون صاحبهم الذي ربما أراد الاستقامة على دين الله عبارات النبز والاستهزاء والسخرية حرصاً منهم على بقاءه ضالاً كحالهم . السبب التاسع : متابعة من يعاديه من الناس للرسول وسبقه إلى الدخول في دينه وتخصصه وقربه منه ، وهذا القدر منع كثيرا من اتِّباع الهدى ؛ يكون للرجل عدو ويبغض مكانه ولا يحب أرضا يمشي عليها ويقصد مخالفته ومناقضته ، فيراه قد اتبع الحق فيحمله قصد مناقضته ومعاداته على معاداة الحق وأهله وان كان لا عداوة بينه وبينهم وهذا كما جرى لليهود مع الأنصار . ومن ذلك قول بعض أهل الباطل : الخير فيما خالف العامة .**

**السبب العاشر :**

**مانع الإلف والعادة والمنشأ ؛ فإن العادة قد تقوى حتى تغلب حكم الطبيعة ولهذا قيل هي طبيعة ثانية فيربى الرجل على المقالة وينشأ عليها صغيرا فيتربى قلبه ونفسه عليها كما يتربى لحمه وعظمه على الغذاء المعتاد ولا يعقل نفسه إلا عليها ثم يأتيه العلم وهلة واحدة يريد إزالتها وإخراجها من قلبه وأن يسكن موضعها فيعسر عليه الانتقال ويصعب عليه الزوال وهذا السبب وإن كان اضعف الأسباب معنى فهو أغلبها على الأمم وأرباب المقالات والنحل ليس مع أكثرهم بل جميعهم إلا ما عسى أن يشذ إلا عادة ومربي تربى عليه طفلا لا يعرف غيرها ولا يحسن به فدين العوايد هو الغالب على أكثر الناس فالانتقال عنه كالانتقال عن الطبيعة إلى طبيعة ثانية . اهـ .**

**وقد أخبر الله عن المشركين أنهم ما منعهم من الهداية واتِّباع الرسول إلا أنهم وجدوا آبائهم على هذا الدين وهم ألِفوه ونشأوا عليه : (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ {23} قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ {24} فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ )**

**وهذا المانع لم يكن ليمنع الصحابة رضي الله عنهم مِن مُتابعة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتصديق خَبَرِه ، وامتثال أمره ، ولو كان مُخالِفاً لطبائع نفوسهم ، كما في خَبَرِ تحريم الخمر .**

**قال أنس : إني لقائم أسقيها - أي الخمر - أبا طلحةَ وأبا أيوبَ ورجالاً من أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا ، إذ جاء رجلٌ فقال : هل بلغكم الخبر قلنا : لا . قال : فإن الخمر قد حُرِّمَتْ . فقال : يا أنس ! أرِقْ هذه القِلال ، قال : فما راجعوها ولا سألوا عنها بعد خبرِ الرجل . متفق عليه .**

**ومن الأسباب التي يُمكن أن تضاف :**

**= الشرك بالله ؛ فإنه أعظمُ أسباب الضلال ، قال الله على لسان نبيه ومُصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم : ( قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ )**

**وقال جلّ ذِكره : ( قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَىَ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ )**

**= عدم الانقياد لأوامر الله وعدم السمع والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم . قال سبحانه : ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلاَلاً بَعِيدًا {167} إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً {168} إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا ) وإذا كان اتِّباع الرسول صلى الله عليه وسلم من أسباب الهداية ، كما في قوله سبحانه : ( الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ )**

**= فإن عدم التصديق بخبر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، أو التشكيك فيما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم سبب ضلال . قال جل ذكره : ( إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ لاَ يَهْدِيهِمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ )**

**= اتِّباع الهوى ، قال سبحانه وتعالى لنبيِّه داود عليه الصلاة والسلام : (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ )**

**وحذّر الله عباده المؤمنين أن يكونوا كالذي آتاه الله آياته فانسلخ منها ، فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، وبيّن تبارك وتعالى أن سبب زيغه وضلاله هو اتّباع الهوى ، فقال جل جلاله : ( وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ \* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ )**

**فَحَذار « فكم تعرقل في فخّ الهوى جناح حازم ». فهذا مركب الهوى قلّ من ركبه ثم تخلّى عنه ، لأنه يهوي بصاحبه كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه.**

**وقد حذّر الله تبارك وتعالى من الزيغ الذي هو نتيجةٌ لاتّباع الهوى ، فقال سبحانه : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ )**

**قال ابن المبارك : إن البصراء لا يأمنون من أربع : ذنب قد مضى لا يَدري ما يَصنع فيه الرب عز وجل ، وعمر قد بقي لايدري ما فيه من الهلكة ، وفضل قد أُعطي العبد لعله مكر واستدراج ، وضلالة قد زُيِّنت يراها هدى ، وزيغ قلب ساعة ، فقد يُسلب المرء دينُه ولا يشعر .**

**ولقد حرص السلف على هداية الخلق إلى الصراط المستقيم ، لعلمهم بفضل هداية الخلق ، وقد أوصى النبيُّ صلى الله عليه وسلم عليَّ بنَ أبي طالب حين بعثه يوم خيبر ، فقال له : فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم . متفق عليه .**

**ولو لزم الأمر أن يشتري الهداية بماله لما كان ذلك مُستكثراً .**

**ومما ورد في كتب التاريخ والتراجم أن سعيد بن عثمان بن عفان لما استعمله معاوية رضي الله عنه على خراسان فمضى سعيد بجنده في طريق فارس فلقيه بها مالك بن الريب - وكان شاعرا فاتكا لصا و هو من شعراء الإسـلام في أول أيام بني أمية - و كان من أجمل الناس وجها و أحسنهم ثيابا ، فلما رآه سعيد أعجبه ، و قال له :مالك و يحك ! تفسد نفسك بقطع الطريق ، وما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العبث و الفساد ، وفيك هذا الفضل ؟ قال : يدعوني إليه العجـز عن المعالي ومساواة ذوي المروءات ، و مكافأة الإخوان . قال سعيد : فإن أنا أغنيتك واستصحبتك ، أتكف عما كنت تفعل ؟ قال : أي و الله أيها الأمير أكف كفّاً لم يكف أحد أحسن منه . قال : فاستصحبه وأجرى له خمسمائة درهم في كل شهر**

**وهو الذي يقول : ألم تَرَني بِعتُ الضلالة بالهدى\*\*وأصبحتُ في جيش ابن عفّان غازيافاحرص رعاك الله أن تكون مشعل هداية لبيتك ، فانقل ما تسمعه إلى زوجتك وبيتك . و ليُعلم أن الهداية نعمة عُظيمة ، ومنَّةٌ جسيمة ، فلا تحصل إلا بفعل السباب ، وببذل الوسع في تحصيلها .**

**قال ابن القيم : إن لم يَصرف عنه الموانع والصوارف التي تمنع موجب الهداية وتصرفها لم ينتفع بالهداية ولم يتم مقصودها له ، فإن الحكم لا يكفي فيه وجود مقتضيه بل لا بد مع ذلك من عدم مانعه ومنافيه ، ومعلوم أن وساوس العبد وخواطرَه وشهواتِ الغيّ في قلبه كل منها مانعُ وصول أثر الهداية إليه ، فإن لم يصرفها الله عنه لم يهتد هدى تامّاً فحاجاته إلى هداية الله له مقرونة بأنفاسه وهي أعظم حاجة للعبد . أخيراً – رعاك الله – استمع إلى هذه الآيات وتأمل قول الله : ( وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ {54} وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ {55} أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ {56} أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ) فهو يقول : لو أن الله هداني ، وهو لم يأخذ بالأسباب الجالبة للهداية.**

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية ( مجموع الفتاوى 19/ 99 ، 100 ) : وليس المراد بالشرع التمييز بين الضار والنافع بالحس ، فإن ذلك يحصل للحيوانات العُجم ، فإن الحمار والجمل يميّـز بين الشعير والتراب ، بل التمييز بين الأفعال التي تضر فـاعلهـا في معاشـه ومعـاده … ولولا الرسالـة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعاش والمعاد ، فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف مِنّة عليهم أن أرسل إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه ، وبيّن لهم الصراط المستقيم ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم بل أشر حالاً منها ، فَمَنْ قَبِلَ رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية ، ومن ردّها وخرج عنها فهو من شر البرية ،وأسوأ حالا من الكلب والخنزير والحيوان البهيم ثم ذَكَرَ حديث أبي موسى المتقدّم في قوله صلى الله عليه وسلم : مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم فقال : فالحمد لله الذى أرسل الينا رسولا من أنفسنا يتلو علينا آيات الله ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة وإن كنا من قبل لفى ضلال مبين ، وقال اهل الجنة : ( وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ) والدنيا كلها ملعونة ملعون ما فيها إلا مـا أشرقت عليه شمس الرسالة ، وأسس بنيانه عليها ، ولا بقاء لأهل الأرض إلا ما دامت آثار الرسل موجودة فيهم فاذا درست آثار الرسل من الأرض وانمحت بالكلية خرب الله العالم العلوى والسفلى وأقام القيامة وليست حاجة أهل الأرض الى الرسول كحاجتهم الى الشمس والقمر والرياح والمطر ولا كحاجة الانسان الى حياته ولا كحاجة العين الى ضوئها والجسم الى الطعام والشراب بل أعظم من ذلك وأشد حاجة من كل ما يقدر ويخطر بالبال فالرسل وسائط بين الله وبين خلقه فى أمره ونهيه وهم السفراء بينه وبين عباده . انتهى كلامه رحمه الله.وإن تعجب فاعجب لمسلم يسأل ربَّه عز وجل في اليوم والليلة سبع عشرة مرة يسأله هداية الصراط المستقيم وأن يُعيذه من طُرق المغضوب عليهم وهم اليهود وطرق الضالين وهم النصارى،ثم يتّبع طريقتهم ، ويسلك أثرهم ويتشبّه بهم .(1)**

**==================================================**

**(1)الأنترنت ـ موقع التوبة ـ قاله الشيخ / عبد الرحمن بن عبد الله السحيم**

**\*الهداية والضلال بين مشيئةُ اللهِ ومشيئةُ العبدِ**

**إن الإنسانَ في بعضِ الأحيانِ يُعتبر مُسير كما في حالة الموت والولادة لقوله تعالى (وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ) (النجم: 44) ، لأنه عندما يكون الإنسان مُسيراً فإن هذا يعني أنه ليس له أدنى نصيب من الإختيار في ما يُقدر أو يَقع عليه من أقوال وأفعال وأحوال وغيرها من الأسباب الدنيوية وكما هو معلوم فإن الإنسان مقهور ومُسير في الموت والحياة. وفي البعض الآخر يكون الإنسان مُخير ومُسير معا في نفس الوقت بحيث أن ترجيح كل من التخيير والتسيير على الآخر يختلف من حال إلى آخر، فتجد في بعض الأمور التي يقوم بها الإنسان يكون التخيير فيها**

**راجحاً على التسيير وفي أمور أخرى تجد التسيير راجحاً فيها على التخيير وهكذا. بينما يستحيل أن تجد حالة يكون فيها الإنسان مُخير بالمطلق أي بشكل كامل دون أي قيود، لأن الإنسان يُعتبر مُخير عندما يملك حرية مطلقة غير مقيدة في الإنتقاء والإصطفاء بين أمرين أو أكثر أو عندما يملك حرية مطلقة غير مقيدة في قبول أو رفض أمرا ما، وبالتالي فإن الإنسان ما كان له أن يختار أي سبب أو أمر دنيوي بمختلف أنواعه من حال وفعل وقول وظرف زماني ومكاني وغيره من الأنواع إلا عندما يُقَدَّر عليه ذلك السبب أو الأمر الدنيوي بإرادةِ ومشيئةِ وخَلقِ وإيجادِ اللهِ الملك العظيم الخالق القدير فما لا يشاء اللهُ له أن يكون لا يُمكن إختياره. وهذا طبعا لعدة حكم منها (والله أعلم)، أنه لو إستقام أن يكون الإنسان مُخير بشكل مُطلق وبدون قيود لظن الإنسان في نفسه عندئذ بأنه خارج سلطان وقهر الله الملك العظيم، قال تعالى (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (التكوير: 29) فهذه الآية الكريمة تشير إلى أن الخليقة وعلى رأسها بني آدم هم مقهورون في كل حركاتهم وسكناتهم وأحوالهم وأفعالهم تحت سلطان ومشيئة وإرادة وقدرة الله الملك العظيم القهار القدير فما من إنسان يهتدي أو يضل إلا بمشيئة الله عزوجل لأنَّ ما يشاء اللهُ لهُ أن يكون يكون وما لا يشاء اللهُ له أن يكون لا يكون. أيضاً، لكي يعلم الإنسان الظلوم الجهول أنه لم يكن الإنسان ليهتدي إلا برحمة الله الملك العظيم الهادي الكريم لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لن يدخُلَ الجنَّةَ أحدٌ إلَّا برحمةِ اللهِ ، قالوا : ولا أنت يا رسولَ اللهِ ؟ قال : ولا أنا إلَّا أن يتغمَّدنيَ اللهُ برحمتِه ، وقال بيدِه فوق رأسِه.) ( الراوي: أبو سعيد الخدري المحدث: المنذري - المصدر: الترغيب والترهيب - الصفحة أو الرقم: 4/301 خلاصة حكم المحدث: إسناده حسن). وذلك لكي يعلم الإنسان أنه عندما يهتدي فإن ذلك يكون بفضل ورحمة الله عزوجل لأنه سبحانه وتعالى هو من وفقَهُ وأرشَدَهُ لأسبابِ الهدايةِ الدنيويةِ التي قام الإنسان بالإستجابة لها وإختيارها حتى إهتدى، قال تعالى (لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ۚ ) (الرعد: 18). وفي المقابل، لكي يعلم الإنسان أنه عندما يضلُ فإنه يظلمُ نفسَه ولم يظلمْهُ الله، قال تعالى (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (النحل: 33) لأنه عندما قَدَّرَ اللهُ عزوجل وهيأ للإنسانِ أسبابَ الهدايةِ الدنيويةِ وأعرض عنها ولم يستجب لها عندئذ هو من ظلم نفسه ولم يظلمه اللهُ عزوجل، قال تعالى (وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) (الرعد: 18).**

**فاللهُ الملك العظيم الهادي الكريم لا يهدي إلا من يُحب الهداية ويرغب فيها ولا يهدي من لا يحبُ الهدايةَ ويُعرض عنها ويحبُ الضلالَ لأنه لا إكراه في الدين، وكذلك لقوله تعالى ( وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) (الحجرات: 7)، فسبحانه وتعالى يُيسر الأقدار أو المقاديرَ التي تَبعَثُ محبةَ الإيمانِ وكراهيةَ الكُفرِ والفُسوقِ والعِصيانِ في قلب المؤمن وروعه لِعلمِ اللهِ السابق بمحبة المؤمن للإيمان، قال عليه الصلاة والسلام (قلبُ ابنِ آدمَ بينَ إصبَعينِ مِن أصابعِ الرَّحمنِ ، إن شاءَ أن يُقيمَهُ أقامَهُ وإن شاءَ أن يُزيغَهُ أزاغَهُ) ( الراوي: سبرة بن الفاكه المخزومي الأسدي المحدث: الألباني - المصدر: تخريج كتاب السنة - الصفحة أو الرقم: 220 خلاصة حكم المحدث: صحيح). فيختارُ المؤمنُ الإيمانَ ويتركُ الكفرَ والعصيانَ فيهديه ويُوَفِقُهُ ويُرشِدُهُ سبحانه و تعالى إلى طريق الحق والهداية ويَصرِفَهُ عن طرق الباطل والضلال، وفي المقابل فإنه سبحانه وتعالى يُيسر الأقدار أو المقادير التي تجعلُ الكافرَ يُحبُ الكفرَ والعصيانَ ويَكرهُ الإيمانَ والطاعةَ لِعلمِ اللهِ السابق بمحبة الكافر للكفر والعصيان فيختمُ اللهُ على قلبه وسمعه ويَجعلُ على بصره غشاوةً فيختارُ الكافرُ الكفرَ والعصيانَ والفسوقَ ويُعرضُ عن الإيمانِ فيُضله عزوجل إلى طرق الضلال المتعددة. قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ) (الرعد: 11) فهذه الآية الكريمة تُشير إلى أن الله عزوجل لا يُغير حالَ الإنسانِ من هدايةٍ أو ضلالٍ حتى يقوم الإنسانُ بنفسِهِ بتغيير نيتِه وقلبِه وروحهِ المُتصلةِ بجسدهِ، أي نَفسِه، بالعزم على طلب الهداية أو بالعزم على الإعراض عنها فإذا طلب الهداية ورغب فيها عندئذ سوف يُوفقه اللهُ عزوجل ويُرشدهُ إلى الهدايةِ بتهيئةِ أسبابَ الهدايةِ الدنيويةِ بمختلف أنواعها، أما إذا أعرض وإستكبر عن الهداية وأضل نفسه فعندئذ الله عزوجل سوف يتركه في ضلاله، قال تعالى (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ) (القلم: 7). فمن يختارُ الإهتداءَ إلى الإيمانِ والتصديقِ والإعتقادِ بألوهية ووحدانية وعظمة الله الملك العظيم الواحد مالك الملك فعندئذ سوف يهدي اللهُ قلبَهُ ويُوفقهُ إلى الإيمانِ والإذعانِ والإنقيادِ إلى اللهِ عزوجل بعبادته وطاعته في أوامره ونواهيه وبالتقرب إليه بأحبِ ما يُحبُ سبحانه وتعالى بأسبابِ الهداية الدنيوية بمختلف أنواعها من إرشادٍ وعلمٍ وعملٍ صالحٍ وغيرها، فالله عزوجل عليم بحال المرء وحال جميع ما يحيط به من الأسباب الدنيوية. لقوله تعالى (وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) (التغابن: 11). ثم يزيد اللهُ المؤمنين المهتدين هدايةً لقوله تعالى ( وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ) (محمد: 17)، وقوله تعالى (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى) (مريم: 76). وفي المقابل نجد في قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ) (الصف: 5) أنه عندما يَميلُ ويَنحرفُ الإنسان عن طريق الهداية المستقيم ويَختارُ الضلالةَ فعندئذ يُضِلُ اللهُ قلبَهُ فلا يُوفقهُ اللهُ إلى إختيار الهداية ويَتْرُكهُ في ضلالهِ لأنه أعرضَ عن طريق الهداية وأضلَ نفسه وبالتالي سوف ينتج عن ذلك نتيجة حتمية بسلوك الإنسان الضال لطرق الضلالة المتعددة فليس هنالك خيار ثالث، وهذا ما يُعتبر بمثابة تمهيد وتهيئة الله عزوجل للضال أسباب الضلال الدنيوية المتعددة.**

**فالكافرُ هو من يختارُ الضلالةَ ويستحبها على الهدايةِ، لقوله تعالى (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ) (فصلت: 17)، ولقوله تعالى ( اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ \* الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ) (إبراهيم: 2-3 )، وليس اللهُ من يجَعلُهُ يختارُ الضلالةَ كما قال المشركون في قوله تعالى (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ) (الأنعام: 148)، لأن سبحانه وتعالى لا يرضى لعباده الكُفرَ وإنما يرضى لهم الإيمانَ، لقوله تعالى (إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (الزمر: 7)، وكذلك لقوله تعالى (مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا) (النساء: 147). ففعلُ استحب لُغةً: فضل واختار، ما يعني أن الكافرَ هو من يختارُ الهدايةَ و الضلالَ طواعيةً من غيرِ إكراهٍ، وكذلك يعني أن ليسَ جميعُ الكافرين كارهين للهدايةَ، قال تعالى عن الكافرين (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ \* لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) (الزخرف: 77-78 )، فالآية الكريمة تُشير إلى أنَّ أكثرَ الكافرين كارهون للحق وليس جميعهم. لأن من يختار بين أمرين ويُفضلُ إحداهما على الآخرِ هو ليسَ بالضرورةِ كارهٌ لما أعرض عنه فقد يكون مُحباً لما أعرض عنه أو يميلُ إليه ولكنَّ حُبَهُ وميلَهُ لِما اختارهُ أكبرَ، وهذا يُفسرُ حقيقةَ أن الإنسانَ خُلِقَ من خيرٍ وشرٍ كلاهما معاً ولم يُخلقْ من شرٍ محض كما هو الشيطانُ وذريتُهُ. فوجودُ الخيرُ في الإنسانِ الكافرِ هو سببٌ لهدايته إذا شاء هو ذلكَ بعد مشيئةِ اللهِ عزوجل، قال تعالى (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (السجدة: 13)، وقال تعالى (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ) (النحل: 93 ). ولِذلِكَ لا أحدٌ يعلمُ خاتمةَ الإنسانِ إلا خالقَهُ اللهُ عزوجل فمن عَلِمَ اللهُ أن خيرَهُ أعظمَ مِن شَرِهِ ختم اللهُ له بالإيمان، قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) (النور: 21)، ومن عَلِمَ اللهُ أن شرَهُ أشَدَّ من خيرِهِ خَتمَ لهُ بالكُفرِ، قال تعالى عن الكافرين (قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ) (المؤمنون: 106) أو أنَّ شَرَهُ إستحوذ عليه خَتمَ له بالنفاقِ أو بالكُفرِ، قال تعالى عن المنافقين (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (المُجادلة: 19).**

**ولكن هنا قد يظهر تناقضٌ ظاهري، فيقول قائل: كيف يستقيم أن الله عزوجل لا يمهد ولا يهيء أسباب الهداية أو الضلال للإنسان إلا عندما يختار بنفسه الهداية أو الضلال حسب ما ذُكر أعلاه، بينما تَمَ ذِكرَ أن اللهَ عزوجل مهد وهيأ أسباب الهداية للإنسان الضال رغم أنه ليس مهتدي وأنه على ضلالة ثم إستجاب لنداء الهداية واهتدى، وكذلك أن الله عزوجل مهد وهيأ أسباب الهداية للإنسان الضال رغم عدم رغبته وطلبه للهداية فكانت النتيجة أنه إستكبر ولم يستجب لنداء الهداية. فالجواب هنا أنه ليس هنالك أي تناقض، لأنه بما أنَّ الإنسانَ الضالَ قد اهتدى ولبى نداءَ الهدايةِ واستجاب لهُ فهذا يعني أنه عزم على الهداية ورغب فيها في نيته وقلبه وروحه المتصلة في جسده، أي نفسه، وهو ما لا يزال في الظاهر ضالٌ لكن الله الملك العظيم العليم علام الغيوب علم ما في قلبه لأنه سبحانه وتعالى يعلمُ السرَ وأخفى فيعلم اللهُ بعلمه السابق متى سوف يعزمُ العبدُ على الهداية في قلبه بإختياره وعندما يغير ويبدل نيته وحال قلبه ونفسه فعندئذ يبدل الله عزوجل حاله لقوله تعالى ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ) (الرعد: 11)، فيوفقه إلى الهدايةِ بقلبهِ ثم يرشدهُ إليها بتهيئةِ أسبابَ الهدايةِ الدنيويةِ بمختلف أنواعها فيستجيب ذلك الإنسان الضال لنداء الهداية لأنه طلب الهدايةَ في قلبه بإختياره فوفقه اللهُ إلى ذلك ثم أرشدهُ اللهُ إلى الهدايةِ بتهيئةِ أسبابَ الهدايةِ الدنيويةِ التي تُعينهُ على الهداية. أما بما يتعلق بأن الله عزوجل يهيء أسباب الهداية الدنيوية لإنسان لا يرغب ولا يطلب الهداية وبالتالي لا يستجيب لنداء الهداية ويستكبر عنه، فإن تفسير ذلك هو أن الله عزوجل يهيء أسباب الهداية الدنيوية لذلك الشخص من أجل أن يقيم الحجة عليه لقوله تعالى (مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ) (الإسراء: 15)، فالآية الكريمة تشير إلى أن الله الملك العظيم هو العزيز الغني فمن إهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها فلن يضرُ اللهَ عزوجل إعراضُ وإستكبارُ بعضُ الناسِ عن الإستجابةِ لنداءِ الهدايةِ، ولكن الله الملك العظيم هو العدل المقسط فلا يُعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه بتبليغه دعوة الهداية سواء عن طريق رسول أو عن طريق نبي أو عن طريق من سار على نهجهم من الدعاة.**

**وكذلكَ رُغمَ أنَّ السعادةَ والشقاوةَ هي مقدرة ومفروغ منها في علم الله السابق لخلق الإنسان في الحياة الدنيا، فإنَّ الإنسانَ هو من يختار لنفسه الشقاوة والسعادة. كانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في جنازَةٍ ، فأخذَ شيئًا فجعلَ يَنْكُتُ بهِ الأرضَ ، فقالَ : ( ما منكمْ من أحدٍ ، إلا وقدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ من النارِ ومقْعَدُهُ من الجنةِ. قالوا : يا رسولَ اللهِ ، أفلا نَتَّكِلُ على كتَابِنَا ونَدَعُ العملَ ؟ قالَ : اعمَلوا فكلٌ مُيَسَّرٌ لمَا خُلِقَ لهُ ، أمَّا من كانَ من أهلِ السعادةِ فَيُيَسَّرُ لعملِ أهلِ السعادَةِ ، وأمَّا من كانَ من أهلِ الشقاءِ فَيُيَسَّرُ لعملِ أهلِ الشقاوَةِ . ثم قرأَ : {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى } ) . الآية .( الراوي: علي بن أبي طالب المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم : : 4949 خلاصة حكم المحدث: صحيح ). فتفسير هذا الحديث هو أن الله عزوجل خلق الكافرين والمنافقين ليكونوا من أهل النار في علمه سبحانه وتعالى السابق لكل شيء فيَسَر لهم عمل أهل النار لكي يستحقوا دخولها جزاءاً وعدلاً على عملِهم الذي إختاروا فعلَهُ، وكذلك خلق المؤمنين ليكونوا من أهل الجنة فيَسَر وهيأ لهم عمل أهل الجنة لكي يستحقوا دخولها رحمةً ومنةً من اللهِ سبحانه وتعالى على هدايته لهم لِعملِ أهل الجنةِ الذي إختاروا فِعلَهُ لقوله عليه الصلاة والسلام عن الله عزوجل (... يا عبادي ! كلكم ضالٌّ إلا من هديتُه ...) (الراوي: أبو ذر الغفاري المحدث: مسلم - المصدر: صحيح مسلم - الصفحة أو الرقم: 2577 خلاصة حكم المحدث: صحيح) وذلك متوافقٌ مع قوله تعالى ( إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا \* لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ) (الأحزاب: 72-73)، فهذه الآيات الكريمة تشير إلى أن الله عزوجل خلق الإنسان وقدر عليه حمل أمانة عبادة الله سبحانه وتعالى وتوحيده من أجل أن يعذب المنافقين والمشركين في النار جزاءا وعدلا على أعمالهم وينعم ويتوب على المؤمنين بالجنة رحمةً وِمنَةً من الله سبحانه وتعالى على هدايتهم لهم، فمن كان من أهل السعادة لحبه للهداية وإختياره لها وخُتِمَ له بذلكَ لقوله عليه الصلاة والسلام (الأعمالُ بالخَواتيمِ) ( الراوي: سهل بن سعد الساعدي- المحدث: الزرقاني - المصدر: مختصر المقاصد - الصفحة أو الرقم: 116 خلاصة حكم المحدث: صحيح ) وكذلك لقوله عليه الصلاة والسلام (إنَّ الرَّجلَ ليعملُ الزَّمنَ الطَّويلَ بعملِ أَهْلِ الجنَّةِ ، ثمَّ يُختمُ عملَهُ بعملِ أَهْلِ النَّارِ، وإنَّ الرَّجلَ ليعملُ الزَّمنَ الطَّويلَ بعملِ أَهْلِ النَّارِ ثمَّ يختمُ لَهُ عملَهُ بعملِ أَهْلِ الجنَّةِ. ) ( الراوي: أبو هريرة المحدث: مسلم - المصدر: صحيح مسلم - الصفحة أو الرقم: 2651 خلاصة حكم المحدث: صحيح ). فإنَّ اللهَ عزوجل يُوَفقه ويُرشِدُه بأسبابِ الهدايةِ الدنيويةِ بمختلف أنواعها لعملِ أهلِ السعادةِ أو عملِ أهلِ الجنةِ من عمل القلب بالنية الصالحة وعمل اللسان بالقول الصالح وعمل الجوارح بالطاعات التي عزم القلب على عملها، بينما من كان من أهل الشقاوة وخُتِمَ له بِذلكَ يَترُكْهُ الله في ضلاله ولا يوفقهُ إلى الهداية لِكُرهِهِ لها وإعراضهِ عنها و وبالتالي يضلُ في طرق الضلالة المتعددة أيها شاء لِيعملَ بعمل أهل الشقاوة أو عمل أهل النار من عمل القلب بالنية الفاسدة وعمل اللسان بالقول السيء وعمل الجوارح بإرتكاب المعاصي والآثام التي عزم القلب على عملها. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته(1)**

**إلى هنا ونتوقف في هذا البحث العظيم المهم ؛ وقد جمعت فيه ما استطعت من الآيات والأحاديث وأقوال العلماء اسأل الله أن يجعله علماً نافعاً وعملاً صالحاً متقبلاً ، وأن يهدينا الى سواء السبيل ، وأن يهدي أبنائنا وأزواجنا ، وأخواننا وأخواتنا وجميع المسلمين إلى صراطه المستقيم آمين ، إن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان وأستغفر الله ، وعلى أتم الإستعداد للرجوع عن خطأي ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . حررفي غرة شهر جمادى الثاني من عام ألف وأربعمائة وسبعة وثلاثين للهجرة النبوية الشريفة في منزلي ببطحاء قريش في مكة المكرمة .**

**المؤلف : د / مسفر بن سعيد بن دماس الغامدي ـ مكة المكرمة ـ حي بطحاء قريش ـ بجوار مسجد البكري**

**=========================================**

1. **الأنترنت ـ موقع ملتقى أهل الحديث ـ المؤلف: خالد صالح أبودياك.**

**ثبت المراجع**

**القرآن الكريم مصحف مجمع المدينة المنورة**

**1= الأنترنت ـ موقع ملتقى أهل الحديث ـ المؤلف: خالد صالح أبودياك.**

**2=الأنترنت ـ موقع المعاني ـ معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي**

**3=الأنترنت ـ إسلام ويب ـ موقع المقالات**

**4= الانترنت البحر الملئان في اقتناص درر معاني القرآن" للشيخ أبي عمرانالمصمودي**

**5= الأنترنت ـ موقع إسلام ويب ـ اضواء البيان ، الأنترنت ـ موقع ملتقى أهل التفسير الكاتب :أبو عبيدة الهاني**

**6= الأنترنت ـ فتح الباري لابن حجر**

**7= الأنترنت ـ موقع شبكة المسك ـ الموضوع : مختصر فقه الأسماء الحسنى للشيخ عبد الرزاق البدر**

**8= الأنترنت ـ موقع الكتاب الإسلامي ـ كتاب : المقصد الأسنى المؤلف : محمد بن محمد الغزالي**

**9=الأنترنت ـ موقع بنك مقالات**

**10=الأنترنت ـ موقع تفسير ابن كثير**

**11=الأنتر نت ـ الموسوعة الشاملة ـ تفسير السعدي**

**12=الأنترنت ـ موقع تفسير القرطبي**

**13=الأنترنت ـ موقع : وذكر للكاتب : محمد فتحي حسان ، الأنترنت ـ موقع الألوكة**

**14=الأنترنت موقع الرو 7 ، تفسير بن كثير**

**15=الأنترنت ـ موقع تفسير الطبري**

**16=الأنترنت ـ موقع ملتقى الخطباء ـ هلال الهاجري**

**17=الأنترنت ـ موقع شبكة الهداية ـ تأملات في الآية (13) من سورة الكهف**

**18=الأنترنت ـ تفسير القرآن ـ التحرير والتنوير ـ محمد الطاهر ابن عاشور**

**19=الأنترنت ـ موقع تفسير ابن سعدي ـ طريق الإسلام**

**20=الأنترنت ـ موقع الشيخ عبدالرزاق البدر**

**21=الأنترنت ـ موقع طريق الإسلام ـ سورة الأعراف**

**22=الأنترنت ـ موقع طريق الإسلام ـ سورة الأنعام**

**23=الأنترنت ـ موقع المكتبة الإسلامية ـ التفسير الكبير ـ للإمام فخر الدين الرازي**

**24=الأنترنت ـ موقع الدرر السنية ـ موسوعة التفسير**

**25=الأنترنت ـ موقع الموسوعة الشاملة ـ في ظلال القرآن**

**26=الأنترنت ـ موقع ملتقى أهل الحديث ـ كتبه / محمد أمين المشرفي الوهراني**

**27= الأنترنت ـ محاسن التاويل**

**28= الأنترنت ـ أضواء البيان**

**29= الأنترنت ـ موقع قبلة للعالمين ـ تعظيم البلد الحرام**

**30=الأنترنت ـ موقع إسلام ويب ـ المكتبة الإسلامية**

**31=الأنترنت ـ موقع المكتبة الإسلامية ـ تفسير البغوي**

**32= الأنترنت ـ موقع الألوكة ـ أضواء البيان للشنقيطي**

**33= الأنترنت ـ موقع ـ الإسلام، القرآن والتفسیر**

**34= الأنترنت ـ موقع الألوكة ـ الشيخ عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر**

**35=الأنترنت ـ موقع الألوكة د. هند بنت مصطفى شريفي**

**36= الأنترنت ـ موقع الألوكة ـ د. خالد راتب**

**37=الأنترنت ـ موقع الألوكة ـ الشيخ أحمد الفقيهي**

**38= الأنترنت ـ موقع الألوكة ـ محمد فتحي حسان**

**39=الأنترنت ـ موقع الدرر السنية ـ من كتاب أصول الدين الإسلامي للشيخ محمد بن إبراهيم التويجري .**

**40= موقع الإسلام سؤال وجواب ، رسالة في القضاء والقدر " لابن عثيمين**

**41= الأنترنت ـ موقع إسلام ويب ـ عمر الأشقر**

**42= الأنترنت ـ موقع الحكمة ضالة المؤمن**

**43=الأنترنت ـ موقع الشيخ عبدالعزيز ابن باز**

**44=الأنترنت ـ موقع الإعجاز في الهداية ، د. عبد الله عبد الكريم أستاذ علم الفسيولوجيا العصبية**

**45= الأنترنت ـ موقع الكلم الطيب**

**46=الأنترنت ـ موقع التوبة ـ الشيخ / عبد الرحمن بن عبد الله السحيم**

**فهرس العناوين**

**العنوان الصفحة**

**\*المقدمة :.......................................................................... 1**

**\*معنى الهدى................................................................... 1**

**\*لفظ (الهدى) في القرآن الكريم ............................................. 2**

**\*(الهادي) اسم من اسماء الله الحسنى....................................... 11**

**\*أنواع الهداية .....................................................................14**

**\*قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ............................ 27**

**\*طريق الهداية ................................................................. 29**

**\*وأعظم أسباب الهداية ...................................................... 32**

**\*إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى......................................... 34**

**\*وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ....................... 42**

**\*وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ.................................................... 45**

**\*فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ................................ 46**

**\*فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ...................................... 48**

**\*أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ..................................... 52**

**\*ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ......................... 57**

**\*وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ..........................................................58**

**\* الهدى هدى الله..............................................................59**

**\* شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ.........................62**

**\*وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ..................................69**

**\*مفهوم القبلة ومكانتها في الإسلام.............................................71**

**\*قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هو الهدى..................................................74**

**\*أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ...................... 77**

**\*القرآن فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ........................................................84**

**\*حديث القرآن عن القرآن.......................................................93**

**\*نعمة الهداية إلى دين الإسلام.................................................97**

**\*لماذا الدعوة إلى الله والحرص على هداية الناس؟......................... 100**

**\*لماذا يُحرم الناس الهداية؟...................................................... 104**

**\*اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ........................................................108**

**\*الثبات علي الهداية.............................................................112**

**\*الفرق بين هداية الله وهداية رسول الله................................. 126**

**\*الهداية من الله والأسباب من العباد......................................128**

**\*الهداية والرزق بيد الله ..................................................... 132**

**\*إنك لا تهدي من أحببت....................................................133**

**\*أسباب الهداية.................................................................135**

**\*الإعجاز في الهداية............................................................. 136**

**\*طلب الهداية.................................................................144**

**\*موانع الهداية كما ذكرها ابن القيم باختصار ............................. 160**

**\*الهداية والضلال بين مشيئةُ اللهِ ومشيئةُ العبدِ........................170**

**\* ثبت المراجع .................................................................179**

**\*فهرس العناوين ................................................................183**

**الهداية**

**{وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا }**

**تأليف الدكتور**

مسفر بن سعيد دماس الغامدي